أنيس منصور

الماضي يعيش





أنيس منصور





العنوان: الماضي يعيش.
المؤلف: أنيس منصور .
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم .
تاريخ النشر: الطبعة الخامسة يناير 2006م .
رقم الإيداع: 2004/1664
الترقيم الدولي: ISBN 977-14-2580-3

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة
ت: 3466434(02)-3472864(02) فاكس: 3462576(02) ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8330287 (02) - 8330289 (02) - فاكس: 8330296 (02)
البريد الإلكتروني للمطابع: press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسي: 18 ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة - ص . ب : 96 الفجالة - القاهرة.
ت : 5909827 (02) - 5908895 (02) - فاكس: 5903395 (02)

مركز خدمة العملاء: الرقم المجاني: 08002226222
البريد الإلكتروني لإدارة البيع: sales @nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدي)
ت: 5462090 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد السلام عارف
ت: 2259675 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

الماضى يعيش

ونحن طلبة ننظر فى ساعاتنا فى محاضرة اللغة اللاتينية . . ولكن نفاجأ بنهاية محاضرة (علم الاجتماع) . . مع أن الزمن المحدد لكل من المحاضرتين واحد . . وهذا معناه : أن هناك زمانين . . الزمن الميكانيكى الذى تسجله عقارب الساعة أو تدقه ساعة الجامعة . . والزمان النفسى . . أى شعورك أنت بالزمن أو باستغراقك فى شىء آخر يشغلك عن الشعور بمرور الوقت . . وما من حبيب جلس إلى حبيبته إلا وقد اندهش لمرور الوقت بسرعة . .

ولكن الذى مضى من الزمن لا يمضى . . يبقى هناك فى مكان ما من العقل . . ويمكن استدعاؤه والنظر إليه بنشوة أو بقرف . . وكل ما مضى . . يمضى من ناحية ولا يمضى من ناحية أخرى . فالماضى يمضى ويعود . . بل دائما يعود . . الذكريات الحلوة . . والذكريات الأليمة كلها أفلام يديرها العقل من أولها ومن آخرها . . وتتدخل فى أخفائها وتعديلها . . ويكون التعديل نوعاً من الندم على ما حدث . . أو الندم على أنه لم يحدث بالصورة التى بدت لنا بعد ذلك أنها صحيحة . ولكن الماضى لا يمكن تغييره . ما حدث لنا فقد حدث . ويجمد وانتهى .

والمجانين فقط هم الذين انسحبوا من حاضرهم وأداروا وجوههم إلى ماضيهم واستقروا هناك . . أى أطبقوا عيونهم عن الذى أمامهم وفتحوها على ما كان وصاروا سجناء . .

وهناك الحالمون السلبيون . . والحالمون المبدعون . . فأحلام اليقظة هى نوع من البحث فى زمن سوف يجىء والأحلام السلبية هى التى تستغرقنا فنظل هكذا نهيم فى الذى لم يقع بعد . . دون أن نضيف أو نخرج من ذلك بشىء إلا الهرب من الواقع ورفضه والاحتجاج عليه . . أما المبدعون فهم الذين يعيشون فى الزمان المتجدد . . ولذلك يلقون بشباكهم فى المستقبل ويصيدون ما يرونه نافعا لفكرتهم أو فلسفتهم أو مخلوقاتهم الفنية الجديدة . . والعثور على شىء جديد كأن الإنسان يبحث عنه عشرات السنين ولم يهتد إليه . . ولكن واحدا استطاع أن يهتدى إليه . ثم جعله حقيقة واقعة . هذا الاختراع العلمى والإبداع الفنى . .

وفى حالة أحلام اليقظة السالبة وأحلام اليقظة الموجبة . هناك عنصر الزمن . . الزمن المقبل وقوفا على رأس الزمن الحاضر الذى يقف على كتفى الزمن الماضى . . ففى كل الحالات هناك زمن . . وحدات من الزمن . . بالساعات والأيام والسنوات . .

وألف ليلة وليلة ليست إلا أحلام طفولة الإنسان العربى والفارسى والهندى . . يحلم بأن يكون قادرا على تحقيق كل ما

يتمنى . . مستخدما بذلك العفاريت والجن والسحر أى مستعينا بقوى أكبر وأعظم . . وهذه القوى ليست هى الأخرى سلبية تماما . فهى تطاوع خيال الإنسان واحتياجاته أو تقاوم فتتسلط عليه وتنتقم منه كأن الإنسان لم يعاقب نفسه ويعذبها أيضا . وأنه يجد لذة فى ذلك العذاب . .

وكذلك الألياذة والأوديسه عند الإغريق . . فهى نموذج لخيال الإنسان وإبداعه وعظمته فى مواجهة الآلهة . . بل إن الآلهة تحاربه وهو ينتصر عليها . وتعاقبه الآلهة ولكنه يستطيع أن يتغلب على الآلهة . . بأن يرفض إطاعة أوامرها . . مثلا : الفتى سيزيف . . حكمت عليه الآلهة أن يحمل حجرا ويرفعه إلى أعلى الجبل فيسقط منه الحجر ثم يعود يرفعه هكذا إلى الأبد . . عقاب أبدى . . ولكن هذا المعذب أبدا لا يشكو ولا يتململ ولا يركع ! وهو حين يرفض الذل ويرفض العذاب لا يشكو ولا يتوسل ولا يتباكى وهو بذلك يغيظ الذين حكموا عليه فيؤكد لهم أنه أقوى من العذاب وأكبر من الألم وأنه ليس كما توقعوا سوف يخر ساجدا طالبا الرحمة . ولم يفعل . فأغاظ الآلهة !

ولم تعرف البشرية بطولات ومغامرات وخرافات لها معنى فلسفى عميق عاشت عليه الحضارة الإنسانية كما وجد فى الملاحم الإغريقية : ملل الآلهة وعظمة الإنسان ضيق الآلهة

بحياتهم الكاملة الأزلية الأبدية والإنسان الذى يعيش يوما بيوم ويجد لذة فى الفقر أو لا يجد . . المهم أنه يشعر وأنه يشكو وأنه يتحدى وأنه ينتصر أو ينكسر بينما الآلهة حياتهم لا لون لها ولا طعم ولا أول ولا آخر . . ولذلك يحسدون الإنسان على كل ما يطرأ عليه . . يحسدونه على أنه كائن زمنى : ماض وحاضر ومستقبل . . ثم عدم بعد ذلك !

وفى تاريخ الأدب صورة لهذا التحدى الإنسانى للزمن . . للزمن الذى وقف بين جدران السجن . . أو جدران غرف الموت . . ففى قصة لأديب النمسا أشتيفان تسفايج أن واحدا سجنوه . ولم يجد شيئا يفعله فراح يروى كل ما حفظ من الشعر . حتى فرغ منه فراح يعيد الكلمات مقلوبة حتى فرغ منها . . وبعد ذلك راح يقول كلاما آخر من عنده . . إنه يرفض أن يكون حبيس الجدران حبيس اللحظة الراهنة . حبيس الزمن الراكد الآسن . . الذى له رائحة العرق وعفونة الزنزانة وبرودة العزلة . .

وقصة أخرى يبدعها الأديب السويسرى ديرنمات عن مجموعة من القضاة اختاروا لهم مكانا فى أحد الفنادق النائية على سفح جبل . وفى هذا الفندق كانوا يعيدون قضاياهم التى حكموا فيها . . ويقسمون أنفسهم محامين ومستشارين ومتهمين ومشاهدين . . ويندمجون فى هذه القضايا سعداء بما فعلوا وبما

اجتهدوا وبما عدلوه من أحكام ظالمة فى ذلك الوقت . . أو أحكاما مخففة فغلظوا العقوبة . . وفى يوم فوجئ القضاة بمن يدق الباب . إنه صاحب سيارة نفد منها الوقود يريد مساعدتهم . فاستضافوه . ووجدوه فريسة لاستطلاعهم وذكائهم ومهنتهم . وأقاموا له محاكمة . وظل المستشارون يستدرجونه حتى حصلوا منه على اعتراف بأنه ارتكب جريمة . ثم هرب من العدالة . وأمام هذا الاعتراف الخطير حاكموه وأدانوه ونفذوا فيه حكم الإعدام !

فهم إما أن يعدمهم الزمن أو يعدموا الزمن . . فاختاروا ألا يموتوا وأن يبعثوا الزمن . . أن يبعثوا الماضى وينعشوه ويعيشوه مرة أخرى . . ويستمتعون مرتين . . مرة بما كان ومرة بالذى أعادوه ونسقوه . . وبذلك عاشوا الزمان مرتين . . مرة كما كان ويستحيل تغييره ومرة أخرى بعد تعديله والإضافة إليه . والذى أسعدهم هو أنهم أفلتوا من الملل . . وحطموا سلاسل الماضى وأقاموه بصورة جديدة هى إبداع لما قد حدث . . صورة محسنة من صنعهم ، وليسوا هم من صنعها . وقد أتاح لهم الرجل الضحية هذه المناسبة السعيدة!

ويعيش الماضى يعيش مسلسل . . شىء فيه من ذلك . وأسهل . إنها حكاية طبيب يعالج المعذبين نفسيا . وقد جمع مشاكلهم فى ملفات منظمة . وبعد أن اعتزل هذه المهنة . وجد

فراغا هائلا . . ولكنه قاوم هذا الفراغ . . فعاد إلى عيادته وراح يقلب فى الملفات القديمة . . وجلس وحده يدير شريط ذكريات الماضى . . يديرها برفق وبعطف وبدلا من أن يتفرج على مرضاه راح يعايشهم وينصحهم ويدفعهم . وكأنه يعترض على نفسه . . كأنه يعترض على الطبيب القديم ويفسح المجال أمام الطبيب الجديد الذى صار فنانا رحيما لطيفا بمرضاه . . حكاية وراء حكاية . وهو سعيد بأن ما عنده لم يمت . . فقد استدعاه ونفخ فيه من روحه . . وسار معه جنباً إلى طبيب . . وكان واحدا من هذا النسج النفسى والاجتماعى . .

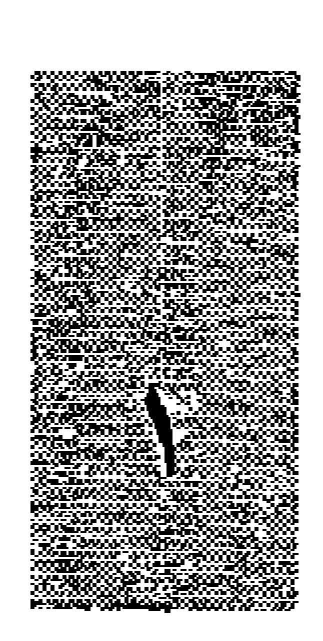
والمثل يقول : إن الإنسان عندما يفلس فإنه يقلب فى دفاتره القديمة . .

ولكنه لم يفلس وإن كان يقلب فى العدم ، لكى يجعله موجوداً . ويجعله أسهل وأصح . . وأن يعدل فى المسار ليصل إلى حالة أخرى . وبذلك يغير الماضى . فهو يرفض أن يكون الماضى قد تجمد واستقر على الحالة التى وقع فيها . . فهو قادر على أن يجعل الماضى حاضرا . . تماما كالذى يقرأ الخطابات الغرامية التى احتفظ بها لمحبوبته . . أن مجرد القراءة هى بعث غرامى . . بعث فنى . . فالماضى كأنه أهل الكهف الذين ناموا فى كهفهم مئات السنين . . فراح يدق باب الكهف ويوقظهم . . ويقدم لهم جوازات سفر

جديدة وعملات جديدة حتى لا يحملوا كهفهم معهم فى كل مكان . حتى يعيشوا فلا يرفضهم الناس أو يعجزوا عن مسايرة الواقع الذى تغير كثيرا عن يوم دخلوا الكهف !

إن الطبيب النفسى هنا ليس صاحب رسالة فلسفية ولا هو من أهل الكهف وإنما إنسان عنده فراغ أن يشغله . . لقد ملأه بنفسه . . بماضيه . . ملأه بحب ومودة . . فهو ليس عدوا لنفسه ولا يريد الانتقام أو الانتقاض منها . . وإنما هو فقط اختار الماضى ليجعله حاضرا . واستطاع . . فالماضى لم يمض . . وإذا مضى فليس أسهل من استعادته والحياة به ومعه . . ويكون ذلك فنا وراحة للنفس ومتعة لمن يقرأ أو يشاهد ذلك !

أنيس منصور



كل يوم يرتدى د . صلاح نور الدين ملابسه كاملة ويقف أمام المرآة ويتأكد من الألوان ، البدلة والكرافتة والحذاء . . ثم ينتقى نوعاً من العطور ويرشه هنا وهناك . . ثم ينظر فى جوانب الغرفة حوله . . ويضع كل شىء فى مكانه . . وواضح جداً أن كل شىء فى مكانه . . فالنظام واضح والنظافة . . ويرتدى البالطو حتى لو كان الجو حاراً . . فهو حريص على أن يكون بكامل هيئته تماما كما كان يفعل فى العشرين عاماً الماضية . . ويغلق باب غرفة النوم . . وينظر حوله ليتأكد من أن كل شىء فى مكانه . .

ويخرج من البيت إلى شارع طويل . . طويل . . يكاد يكون خالياً وخيالياً أيضاً . . فالأشجار طويلة وكثيفة . . والضباب معلق على بعض الطريق . . أوله . . أو آخره . . أو كل الطريق ويمضى فى الضباب . . فلا أحد فى الطريق سواه . . كأنه يحلم . . أو كأنه يتخيل كل هذا الطريق . . وعند نهاية الطريق يجد فيلا على النيل فى مدينة المنصورة . الفيلا مضاءة . . يخرج المفتاح من جيبه . ويفتح الباب . . لا أحد هناك . . أو كأن خادماً كان هناك قد وضع بعض الورد . ورتب المقاعد وخرج . .

ولا يكاد د . صلاح يدخل حتى ينادى : يافرحات . . يافرحات . .

ويهز د . صلاح رأسه بما معناه أن الخادم قد رتب كل شىء وخرج . . وينظر الطبيب حوله . . وينظر إلى المقاعد . . وتظهر

الابتسامة على وجهه . . كأنه يحيى زواره من المرضى . . وكأن المقاعد قد امتلأت بالناس . . رجالاً ونساءً وأطفالاً أحياناً . . وينظر إلى الأرض ويبتسم أكثر كأن كلباً قد اقترب منه . . ويسعده ذلك . .

ويتجه إلى غرفته . . إلى مكتبه . . إنها غرفة مضاءة ضوءاً هادئاً وتنبعث منها موسيقى ناعمة . . ويدور الطبيب حول نفسه ويخلع البالطو والجاكتة . . ويرتدى البالطو الأبيض . . ويجد على مكتبه فنجاناً من القهوة . . ويجلس ويمد يده إلى القهوة ويشرب . . عندما يدق جرس التليفون : آلو . . هاها . . لا يا حبيبى . . هنا العيادة النفسية للدكتور صلاح نور الدين . . آه . . غلط يا ابنى . . لا داعى للأسف يا ابنى . . نحن هنا نحاول أن نفهم الغلط ونعالجه على قدر الإمكان . . لا . . لا . . الغلط هو القاعدة الآن . . ويضع سماعة التليفون ويكمل الكلام كأنه يتحدث إلى نفسه : لو لم يكن هناك غلط ما جاء أحد إلى هنا . . هناك غلط نرتكبه عمداً أو سهواً . . وغلط يرتكبه الآخرون عمداً أو سهواً . . ولكن لا شىء يذهب . . كل شىء يذهب ويختفى ليعود بصورة أخرى . . نحن نضع البذرة فى الأرض وتختفى لتظهر بشكل آخر . . كل شىء . . يختفى ويعود . . ومهما حاولنا أن نخفى كل هذه البذور . . والشرور . . فإنها تطفو . . وتظهر وتكبر وندركها قبل أن تكبر . . أو لا ندركها . . ولكن هناك أمل . . عند الناس وعند الطبيب . . أمل فى أن تعود الأشياء إلى حجمها الصغير . . أو تختفى . . والحقيقة إنه لا شىء يختفى . . لا شىء يموت . . وإنما الذى يموت يبقى . . ويعود . .

ويدق جرس التليفون . . والطبيب قد استغرق فى أحلامه . . أو فى خياله . . ويمد يده إلى التليفون : آلو . . تعال يوم الإثنين . . نعم . . لأنى لا أعمل أيام الجمعة والسبت والأحد . . كثير؟ ليس كثيراً يا سيدى فإننى رجل عجوز ومن حقى أن أستريح . . لقد تعبت كثيراً فى حياتى . . أكثر مما تتصور . . لقد أتعبنى الناس التعبانون يا سيدى . . والآن جاء دورى لكى أستريح . . جاء دورى لكى أمشى على مهل وأجلس على مهل وأنام على مهل . . وأن أرى أصدقائى . . ما تبقى من أصدقاء . . والحقيقة أنه لم يبق أصدقاء . . ولا أعداء . . شىء عجيب الدنيا خلت من الصديق والعدو والابن والأخ والخادم والسائق .

كلهم أخذوا إجازة . . ولم يبق إلا أنا . . حتى أنا فى بعض الأحيان أشعر بأننى أنا أيضاً لم أعد هناك . . وإنما القليل هو الذى بقى . . ومن أجل هذا القليل جئت إلى هنا . . حتى لا يذهب هذا القليل وأصبح أنا بلا حاضر وبلا ماض . . بل الماضى هو الذى أصبح حاضراً . . وأنا الآن على موعد مع الماضى الذى يحضر . . والحاضر الذى كان أمس . . الدنيا تلخبطت فاليوم هو الأمس . . والأمس هو اليوم . . وكل شىء قد مضى فهو يبدأ . . وأنا جئت لكى أشاهد هذا التحول الجميل . . تماماً كالذى أشاهده هنا على النيل . . فالمياه التى أمامى كانت فى أسيوط . . وقبل أسيوط كانت فى أسوان . . وقبل أسوان كانت فى الخرطوم . . وقبل ذلك كانت فى إثيوبيا . . كأنها كانت نوعا من الغيب . . وصار الغيب حاضراً أمامى . . ويمضى هذا الحاضر الذى هو نوع من

الغـيب للبـلاد الأخـرى على النيل . . والميـاه كنت لا أراها منذ أيام . . ثم أراها اليوم . . وبعد ذلك لا أراها . . ولكنها موجودة فى هذا المجرى . . وتذهب المياه كلها إلى البحر . . وتتحول إلى بخار ، والبخار يتحول إلى أمطار تسقط فى أثيوبيا وتتدفق من فوق الجبال إلى البـحـيـرات ، إلى المستنقـعـات ، إلى النيل ، من أسوان إلى القاهرة ، إلى المنصورة ، وإلى الأبد . .

ويضحك د . صلاح نور الدين ويقول : كان الملك سليمان عليه السـلام على حق عندمـا قـال : عـجـبى . . إن الأنهـار تصب فى البحار . . لا البحار امتلأت ولا الأنهار جفت . . وكذلك الماضى يصب فى الحـاضـر ، والحـاضـر يصب فى المستـقـبل فـلا الماضى اختفى ولا الحاضر انعدم ولا المستقبل خلا من كل ذلك .

ويضع سمـاعـة التليـفـون . . أو كـأنه وضعـهـا منذ البـداية وراح يتحدث إلى نفسه . .

ويجلس فى مقعد يدور . .

ويـدق جرسـاً . . ويظهـر التـمـورجى أو كأنه يظهـر ويشيـر إليه د . صلاح بأن يبعث بأول مريض . . ثم يشيـر إليه قـائلاً : ليس الآن ، انتظر ، فعندى حالة مستعجلة! .

وينـهـض د . صلاح نور الدين من مـقـعـده ويتـجـه إلى دولاب كبير فى الحائط . . فتظهر ملفات مرتبة ترتيباً أنيقاً . ويمد يده إلى أول دوسـيـه ويحـمله بعناية شـديدة ويضعـه على المكتب ويفـتح الصفحة الأولى . لنقرأ معه : قبل أن يعالج الطبيب الآخرين يجب أن يعـالج نفسـه . هذه أول قـاعـدة فى العـلاج النفـسى . . فنحن

نغسل الملاعق قبل أن نقلب بها الشاى . وإلا كيف نضع فى فنجان الشاى ملعقة لها رائحة البن أو رائحة الينسون . . لابد من غسلها هى والفنجان أو الكوب قبل أن نضع فيها شراباً آخر . . وكذلك الأطباء يجب أن يغسلوا نفوسهم من هموم وحكايات مؤلمة سابقة حتى لا تختلط هذه الهموم القديمة بهموم جديدة فيصبح الطبيب عاجزاً عن الفهم أو عن التحليل أو الحكم على الآخرين . .

ورأينا د . صلاح نور الدين يتمدد على كرسى طويل . . وقد جلس حوله عدد من الأطباء قد ارتدوا البلاطى البيضاء . . وأمامه أجهزة تسجيل . . وكل واحد قد أمسك ورقاً وقلماً . . وتركوه يتحدث ويقول . .

طبيب يقول له : أنت عارف ياصلاح أنه لابد أن تركز على أيام الطفولة . . أنت عارف . . تفضل يا أستاذ . .

ويقول د . صلاح : إننى أرى كل شىء بوضوح الآن . . لا أعرف لماذا كانت جدتى تضربنى . . فكل شىء تجده فى الأرض تلقى به . . سواء كان ذلك حذاءً . . قبقاباً . . وأحياناً ماء ساخناً . . وأنا أهرب وأصرخ . . وأبحث عن أمى ولا أجدها عادة . . وأنادى ولكن أمى لا ترد . . وقد عرفت فيما بعد أنها تغلق باب غرفتها بالمفتاح من الداخل حتى لا أذهب إليها . . فقد ثارت جدتى عليها . . لأنها فى كل مرة تضربنى . . كانت أمى تسارع وتحتضننى وتقول : معلش يا حبيبى . . إنها جدتك وأنت غلطان ياصلاح . . لماذا ترتدى ملابسها . . ثم تمسك المقص وتقطعها لكى

تكون على مقاسك . . ومش عيب تلبس ملابس واحدة ست وأنت راجل . . أنت راجل ياصلاح ، وإن شاء الله حتكون راجل كبير جداً . . ولذلك كانت أمى تقفل الباب . . وعرفت أنها تبكى أيضاً . . وفى إحدى المرات . .

وسكت د . صلاح نور الدين فقال له الأطباء : ركز يا أستاذ . . ركز . أيوه ماذا حدث فى إحدى المرات . . أيوه . . ماذا حدث . . تفضل يا أستاذ . . ركز يا أستاذ . .

وراح د . صلاح يتحرك قلقاً على المقعد الطويل ثم قال والعرق ينزل من وجهه : وفى إحدى المرات . .

ـ أيوه . . ماذا حدث . . بالضبط . . حاول أن تسترجع كل شىء . . أيوه حاول من فضلك هذه نقطة هامة جداً . . تفضل يادكتور . .

ـ وفى إحدى المرات وكان فى بيتنا أناس كثيرون . . إنه يوم العيد . . وقد رأيت جدتى قد أمسكت عصا طويلة فأدركت أنها تبحث عنى . . وكان الغضب واضحاً على وجهها وفى صوتها . . وهربت منها تحت السرير . . ولكنى لا أذكر أننى قد فعلت شيئاً . . حاولت أن أتذكر . . فلم أجد أننى قد أخطأت . . ولكن جدتى لم تكن فى حاجة إلى سبب لكى تضربنى وتجعل أمى تبكى . . وفكرت بسرعة . . وهربت من تحت السرير . . وذهبت إلى عدد من الأطفال أصحابى وقلت لكل واحد منهم أن يأتى بقالب طوب . . أو قطعة حجر . . وتسللت من إحدى النوافذ . . ودخلنا البيت . . ودخلت إلى المطبخ فوجدت جدتى قد وضعت اللحم فى إناء كبير

استعداداً لعمل الفتة التقليدية فى عيد الأضحى المبارك . . وكان الناس قد ذهبوا جميعاً للصلاة . . أما جدتى فلم تكن فى البيت . . ورفعنا غطاء الحلة وألقينا بالطوب والحجارة فى الوعاء الذى يغلى . . وهرب الأطفال من النافذة . . أما أنا فاختفيت تحت السرير . . وغلبنى النوم فنمت . . ولكن صحوت فى فزع عندما وجدت حبلاً قد التف حول عنقى وأن جدتى تسحبنى من تحت السرير . . وأنها تعلقنى من رقبتى . . وأنها تريد أن تشنقنى . . ورحت أصرخ وأنادى أمى . . الحقينى ياماما . . الحقينى . . الحقينى ياماما . . أمنا الغولة . . الحقونى حاموت . .

وانتفض د . صلاح نور الدين والعرق يتصبب من وجهه وجلس الأطباء حوله . .

والتفت إلى الأطباء يقول لهم : تعبت ، إن هذه هى المرة الأولى التى أحكى فيها هذه القصة . . كانت هذه القصة فى أعماقى . . وهى السبب فى أننى لا آكل اللحم حتى اليوم . .

وقال أحد الأطباء : هل تذكر أننا عندما كنا معاً فى فيينا ، ونزور البيت الذى كان يسكنه عالم النفس فرويد .

- ماذا حدث؟

- هل نسيت؟

- لا أذكر هذه الزيارة . . كانت من ثلاثين عاماً . .

- أنا أفكرك . . قبل أن نذهب إلى الشقة الصغيرة التى كان يسكنها فرويد ذهبنا إلى أحد المقاهى . . ودخلت أنت إلى دورة المياه وبسرعة عدت . . وكان الاضطراب واضحاً على وجهك . .

ـ لا أذكر . .

ـ ولكنى أنا أذكر . . لقد تركتك وسارعت أرى ما الذى ضايقك أو أفزعك . . وحاولت أن أجد شيئاً ولكنى لم أجد شيئاً . . نظرت إلى الأرض ، إلى السقف ، إلى الجدران . . لم أجد شيئاً . . ولكن لابد أن يكون شىء ما . . وعدت مرة أخرى إلى دورة المياه . . فوجدت أن الخادم قد وضع كوباً على منضدة يتلقى فيها ما يجود به الناس . . والكوب إلى جواره رجل يحمل عصا طويلة وأمامه وعاء به عنب . . إنها نفس صورة جدتك وهى تمسك العصا وأمامها حلة اللحم المسلوق . .

ـ ممكن . . معقول . . ولكنى لم أفكر فى ذلك قبل اليوم . . تعرف . . تعرفوا . .

ـ أيوه تفضل يادكتور . . تمدد مرة أخرى . . تفضل . .

وظهر ما يشبه النوم على وجه د . صلاح وقال : الآن عرفت لماذا تشاجرت مع خطيبتى النمساوية . . الآن فقط . . أستطيع أن أحكى ما حدث . . إنها ليست غلطتها . . ولا حتى غلطتى . . إنه هذا الماضى اللعين الذى يتوارى وراء ملابس الأطفال . . يتوارى وراء طفولتنا المزدحمة بالأشياء الصغيرة . . وتتساقط الأشياء الصغيرة . . . أو أوراق الشجرة الصغيرة وتبقى الفروع وتنبت أوراق جديدة وزهور وثمار وبذورحولها فراشات وطيور وتنام تحتها حيوانات وأناس . . وتبقى الأشياء الصغيرة الموجعة . . فى ذلك اليوم . .

ـ أيوه . . تفضل يادكتور . .

ـ ركز يادكتور . .

ـ اشرح يادكتور . . امدد رجليك . . أغمض عينيك . . أنت تعرف . . تفضل على مهلك . . كان فى نيتك أن تتحدث عن خطيبتك . . أظنها يوليتا . .

ـ يوليتا ؟! ـ يتساءل د . صلاح . . يوليتا . . لا . . إنها هيلجا . . لا . . ليست هيلجا . . هيلجا لها حكاية ثانية . . أنا نسيتها تماماً . . ولا أريد أن أذكرها . . إنها أريكا . . نعم . . إنها أريكا . . فى يوم جلست أريكا تتحدث عن طفولتها الجميلة على الحدود بين النمسا وألمانيا عند مدينة سالزبورج التى ولد فيها الموسيقار موتسارت . . إنهم فى هذه المنطقة نمساويون يفاخرون بأنهم ألمان ، ويعلقون العلم الألمانى ويتعاملون بالمارك الألمانى وليس بالشلن النمساوى . . وأريكا جدتها فرنسية الأصل ، وكانت تتباهى بأنها ألمانية الأصل ، وكانت تتمنى ألا تكون لها جدة فرنسية . . فهذه هى النقطة السوداء فى تاريخها . . وكانت جدتها ظريفة لطيفة . . تداعبها وأحياناً تشدها من أذنها أو تشد شعرها ، وفى إحدى المرات . .

ـ أيوه ماذا حدث . . تفضل يا دكتور . . ماذا حدث . . هذه نقطة مهمة . ماذا حدث؟

وكان د . صلاح يتقلب بشدة على المقعد الطويل والأطباء حوله يطلبون إليه أن يتذكر كل شىء . . كل صغيرة وكبيرة . .

يقول له أحد الأطباء : ما الذى حدث فى ذلك اليوم ؟ . أو ماذا حدث فى الكلام الذى قالته أريكا جعلك تقرر فسخ الخطوبة؟ . ماذا حدث ؟ . هذه نقطة مهمة . .

يتقلب د . صلاح ويظهر الاضطراب على وجهه ويقول : كان لابد . . طبيعى أن يكون هذا هو الرد . . طبيعى . . لقد قالت أريكا لجدتها . . إن الألمان سادة الدنيا جميعاً والفرنسيون خدام الألمان والشعوب الأخرى عبيد لنا . . وكانت جدتها تضربها . . وكانت أمها قد ماتت قبل ذلك بسنوات . . وكانت تهرب من جدتها إلى بيوت الجيران . . والناس يستنكرون سلوك الجدة العنيفة . ويقولون : طبعاً فرنسية! لو كانت نمساوية ما فعلت ذلك! .

ويسكت د . صلاح والأطباء يحثونه على أن يكمل القصة : أكمل . . قل يا صلاح . . وسوف نخرج معاً لنتناول غداءنا وتستريح . . ونستريح نحن أيضاً . . إنها مهمة البحث عن متاعب الناس . . الناس يذهبون وتبقى متاعبهم ضمن متاعبنا . . ومطلوب منا أن ننفض عنا هذه المتاعب . . أن نغسل الأكواب والفناجين والملاعق حتى لا تترك أثراً فى أكواب وفناجين الآخرين . . قل ياصلاح . .

ويتحرك د . صلاح ويقول : ولما سألتها ونحن جالسان معاً : إن كانت ما تزال عند رأيها . فقالت : لا يزال هذا رأيى . .أى لا يزال رأيها . . إن الشعوب الأخرى عبيد للشعوب الجرمانية . . أنا وقارة أفريقيا وقارة آسيا وأوروبا وأمريكا . . يعنى إنها عندما قررت أن تتزوجنى كان ذلك من باب الإشفاق على قارة أفريقيا . . وكانت تحاول أن تخفف من هذا المعنى فتقول : ولكنك طبيب وعالم كأى واحد نمساوى . . فأى زبال من النمسا أحسن من أى طبيب أفريقى أو أسيوى . . وبس .

وكان د . صلاح نور الدين جالساً على مقعده الذى يدور وقد وضع رأسه على كفه والأوراق أمامه على المكتب . . ثم اعتدل فى جلسته . .ونهض وخلع البالطو الأبيض وارتدى ملابسه . . وأطفأ الأنوار واحداً واحداً . . وعاد إلى الشارع الطويل إلى البيت . . وقبل أن يدخل البيت سمع نباح كلبه الذى يرحب به . .

وقبل أن يضع المفتاح فى الباب نظر إلى اللافتة النحاسية على الباب . . وأخرج المنديل ومسح اللافتة المكتوب عليها :

دكتور صلاح نور الدين

دكتوراه فى الطب النفسى

من جامعات : القاهرة ولندن

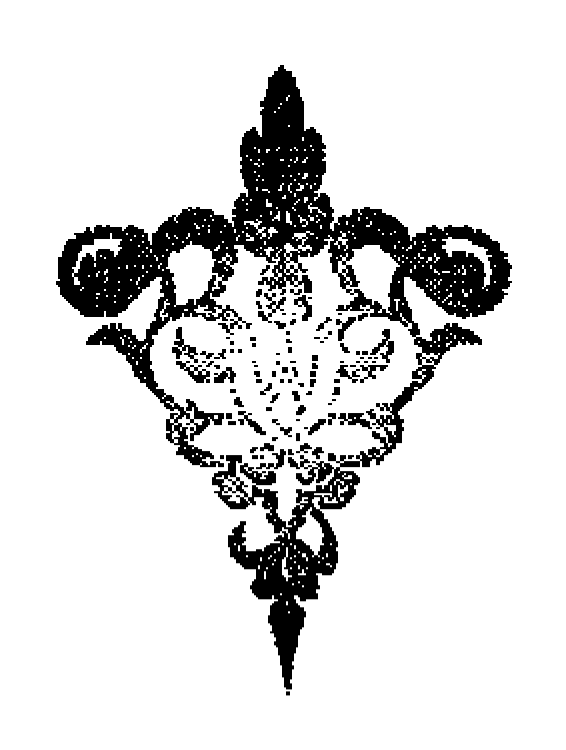
وباريس وبرلين وواشنطون

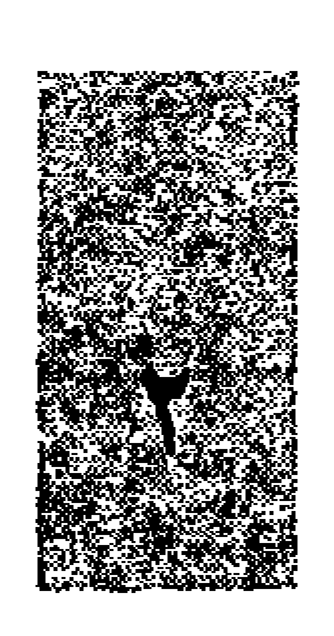
والمنصورة ومن أكبر جامعة

فى الدنيا اسمها :

الحياة . .

ويضحك ويفتح الباب ويخرج ويحتويه الظلام . .





ويخرج د . صلاح نور الدين من البيت إلى الشارع الطويل إلى الضباب إلى الفيلا التى يجدها مضاءة . . يدخل ويحيى الموجودين أو الذى يتخيل أنهم فى انتظاره . . ويخلع البدلة ويرتدى البالطو ويفتح الدولاب ويختار أحد الملفات ويجلس إلى مكتبه وتدور الأحداث التي هو بطلها دائماً . .

بطل هذه القصة هو المهندس هانى بدر جالساً مع سيدة جميلة فى أحد الكازينوهات . . وبعد لحظة صمت يدور حوار بينهما . يقول لها :

- وبعدين يامايسة .

- ولا حاجة . أنا قلت كل ما عندى وأنت مصر على ما فى رأسك . وأنا أيضاً .

- والذى كان بيننا .

- سوف يبقى .

- بأية صورة .

- صورة أخوين . . أنت أخى . . هذا شعورى . . ولكن شعورك أنت غير ذلك . . ولابد أن يكون شعورنا واحداً . . فإذا أحسست أنك أخى فإننى لا أستطيع أن أكون زوجتك . . ولكن إصرارك على أنك لاتشعر بأننى أختك لايغير من شعورى أنا . .

ـ والذى قلناه . . والذى كتبناه والذى كان هنا فى القاهرة والإسكندرية وباريس . . .

– ماذا كان . . هو هو . . أنا أقول لك يا أخى يا حبيبى وأنت تقول لى ياحبيبتى . . ثم إننى متزوجة الآن! .

ـ . . . . . .

ـ أنت لا تريد أن تشعر بأننى أختك وبإننى متزوجة . . أنا متزوجة وأحب زوجى وسعيدة وعندى أولاد . . إنتهى . . لن أترك زوجى لأى سبب . . ولن أتزوجك . . مستحيل أنت ابن عمى . . ونحن نلعب معاً ونحن صغار . . أخى . . أخى الأكبر . .

ـ لن أفقد الأمل .

ـ يدهشنى بعد كل هذا أن يكون عندك أمل . . أمل فى ماذا؟ فى أن يموت زوجى وبعد ذلك تتزوجنى؟ لن يحدث أبداً . أرجوك أنا تعبت معك . . وهذه آخر مرة نلتقى فيها .

ـ ولماذا كنا نلتقى؟

ـ لماذا؟ أنت ابن عمى . . وأنت الذى تصر على هذا اللقاء . .

ـ ليس أكثر من ذلك .

ـ وزوجى يعلم أننا نلتقى .

ـ يعلم؟

ـ طبعاً .

ـ وتقولين له ماذا؟

ـ أقول له أنك ابن عمى وأن عندك مشكلة . . وأننى قادرة على حل مشكلتك .

ـ وما هى مشكلتى؟

ـ مشكلتك أنك لا تريد أن تتزوج البنت التى تحبك . . والتى هى أحسن منى ألف مرة . . غنية . . جميلة . . متعلمة جداً . . وأنسب واحدة لك . . مهندسة مثلك تماماً . . وتستطيع أنت وهى أن تكونا نموذجاً بديعاً . .

ـ ولكنى . .

ـ تريد أن تقول أنك لاتحبها . . أنا لا أصدقك . . أنت تحبها . . وعندى ألف دليل . . ولكن . .

والتفتت إلى الوراء وتقول : لقد جاء زوجى . .

إنه المهندس سامى الجمال . . طويل عريض . . وقف أمام هانى ومد يده قائلاً : أهلاً . . عريس زوجتى . . هاها . . هاها . .

وتضايق هانى بدر وقال : أنا عريس زوجتك . . أمال أنت إيه؟

وضحك سامى وقال : أنا؟ أنا ابن عمها . . وأخوها فى الرضاعة . . كنت أريد أن أسألك فى موضوع عام نشرته الصحف اليوم . . ما رأيكم لو ذهبنا إلى مكان آخر . . نتناول لقمة . .

هى : لامانع .

هو : شكراً .

هى : شكراً إيه؟ . . حتيجى تتغدى معنا . .

المهندس سامى : عيش وملح يعنى؟

هى : عيش وملح . . واحنا أكلنا فى حياتنا كلها غير العيش والملح . .

* * *

يذهب المهندس هانى بدر إلى أحد البارات . . ويجلس وحده . ويجىء الجرسون يأتى له بالشراب . . ويشرب كثيراً . . وتجىء راقصة تتحدث إليه . . ولكنه غير راغب فى الكلام ، وتصر الراقصة على أن تتحدث إليه وتقول له : مالك .

- . . . . . .

- ياما شفت فى حياتى هنا مناظر بالشكل ده . . يعملوها النسوان هناك . .واحنا اللى بنعالج كل المصائب دى . . النسوان اللى انتوا بتحبوهم وبتبوسوا الجزم . . وتصرفوا عليهم دم القلب . . لما تاخدوا بالجزم تيجوا هنا . .نكلمكم ماتردوش . . شفت كثير قوى زيك . .آه لو كنت أنا راجل . . والله لاضرب كل النسوان دول بالرصاص . . ولكن ياخسارة لاحصّلنا رجاله ولا حصلنا نسوان . . احنا نفاية المجتمع . . عقب سيجارة . . يولعونا ويرمونا على الأرض . . مع إننا اللى بنداوى وبنعالج . . قل لى يا حبيبى ياقلبى عملت فيك إيه بنت الشياطين . . مراتك طبعاً . . مش كده برضه . . أم العيال . . وأنت لا تقدر تسيبها ولا تقدر تسيب العيال . . قل لى مصيبتك إيه . . خيبة أملك اسمها إيه . .

والتفت إليها وابتسم . فبادرته بقولها : ياسلام . . ابتسمت . . ألف ليلة بيضاء . . إيه مصيبتك السودا . . وبتشرب فودكا . . ياه ده أنت مصيبتك تقيلة قوى . . قل لى يانور عينى . هو أنت مش راجل ولا إيه . . طلقها . . وابعتها هى والعيال على بيت أبوها . . طلقها . . وارمى لها كل شهر قرشين . .

- أطلق إيه ياست فيفى؟

ـ وعـارف اسـمى كـمـان . . يكونش نعـرف بعض وأنا اللى ناسيـه . . من كتر البلاوى اللى بنشوفهـا كل ليلة . . نعم ياعيون فيفى . . هو بقى ما تتطلقش . . هو انت كاثوليكى والا إيه . .

ـ لا . .

ـ طيب طلقها واتجوز غيرها . . والا أقول لك صنف الحريم مالوش أمـان . . مـادمت اتجوزت واتنيلت كـده ياضنايا . . خليك سلطان زمانك ولا جواز ولا غيره . .

ويقترب منهـا الجرسون ويهمس فى أذنها . . وتهز رأسها بأنها موافقة وتلفتت إلى سامى وتقول : بالإذن ياحبيبى . . مطلوبة . . طلب مستعجل عندى مشكلة لازم أحلها . . واحد زى حضرتك سمع كلامى وطلق مراته وعاوز يتجوزنى أنا . . شوف النحس . . وهو كل واحد أطبطب عليه يقول : نتجوز . . راجعة لك . . إذا تأخرت عليك تعال بكره . . والنبى انت صعبان على . . جدع حليوه . . طيب . . غلبـان . . لكن لازم الواحدة تفكر انك راجل وانك قادر . . بالإذن ياسعادة البيه .

وتمضى فيفى وتختفى فى ظلام الكباريه . .

وتقترب واحدة أخرى من المهندس هانى بدر . . ولكن ليس لديه أى استعداد للكلام . . ولكنه يمضى فى الشراب والتدخين . . ويخرج من الكباريه وقد تساند على الجدران . . ويعرف سيارته بصعوبة وينام فيها حتى الصباح . .

وتوقظه جرسونات الكباريه . . ويعود إلى البيت ليجده خالياً تماماً إلا من خادمة تقول له : إن الست هانم تركت البيت ومعها الأولاد . .

ثم تقدم له خطاباً . .

يفتح الخطاب فيجد فيه صورة له مع الراقصة فيفى . . وشعره منكوش وقد التفت الكرافتة حول وسطه وهو يرقص . .

ثم ينهار على الأرض . .

ثم نراه ممدداً على الكرسى الطويل فى عيادة الدكتور صلاح نورالدين . .

ونرى د . صلاح نور الدين وهو يقول : ليس الشراب والتدخين هو المشكلة . . ولا السهر ولا الكباريهات ولا أن تعود إلى عملك . . ولكن أهم من ذلك أن تنزع من رأسك هذه الفكرة . . أنا أقول لك . . أنت ترى أن زوج بنت عمك رجل جاهل . . مغرور . . وأنه مصاب بالسرطان . . وأنه لن يمضى وقت طويل حتى يموت . . فإذا مات لم تجد مايسة بنت عمك سواك . . ولابد أن تتزوجك . . وأنت حريص على أن تؤكد لزوجتك أنك لا تحبها . . وأنك تعيس فى زواجك ولذلك تتردد على الحانات . . وأن زوجتك إذا كانت تحبك فسوف تتركك للمرأة التى تحبها . . يعنى أنت منتظر اختفاء زوج بنت عمك واختفاء زوجتك أيضاً . . لتجد نفسك وجهاً لوجه أمام بنت عمك مايسة . . ويكون الزواج السعيد الذى تأخر عشر سنوات . . أليس هذا رأيك! .

وترى المهندس هانى بدر ممدداً على الكرسى وتسمع صوت د . صلاح يقول له : هناك أخطاء كثيرة فى أفكارك . . أولاً ليس صحيحاً أن المهندس سامى جاهل . . إنه يحمل نفس مؤهلك وناجح فى عمله . . وحكاية إنه مريض . . ليس هو المريض وإنما

أخوه التوأم . . وهو لشدة حبه لأخيه ادعى أنه هو المصاب لأن أخاه سوف يتزوج وهو لايريد أن يحرمه من السعادة الزوجية . . فعروسه هى بنت عمه التى أحبها طول عمره واتفقا على الزواج وهما صغيران . . ولو عرف أخوه التوأم أنه هو المريض لانهدمت السعادة الزوجية التى يتمناها الجميع . . وأنه اتفق مع مايسة على أن يؤكد هذا المعنى لك ولغيرك . .

ويقول المهندس هانى : هل تعرف أن زوجتى تركت البيت . .

يرد د . صلاح : أعرف . . هل تعرف أنت لماذا؟ لأن الأم قد وجدت ابنك الكبير الذى عمره ١٢ سنة يدخن ويقول لها : إنه يفعل مثلك . . هل تعرف أنها ضبطته أيضاً يشرب الخمر سراً . . هل تعرف معنى ذلك . . معناه أن الولد يمر بمحنة حقيقية وهى أنه لايجد الأب . . وأنه يحاول أن يثير شفقة الأم واهتمامها . . ومعناه أيضاً أن مثله الأعلى فاسد . . فلماذا لا يكون هو أيضاً . .

وينهض المهندس هانى ويتجه إلى خارج العيادة بينما نرى د . صلاح نور الدين جالساً إلى مكتبه ويلتفت إلى حيث خرج المهندس هانى ويقول : عشرون جلسة . . أقول له نفس الكلام ويرد بنفس الكلمات . . ولكنه سوف يعود إلى زوجته وأولاده . . وسوف يقيم فى بيت والدها . . فقد رآه الناس ممزق الملابس منكوش الشعر . . إن هذه الصورة الفظيعة تكفى لهدم حياته كلها . .

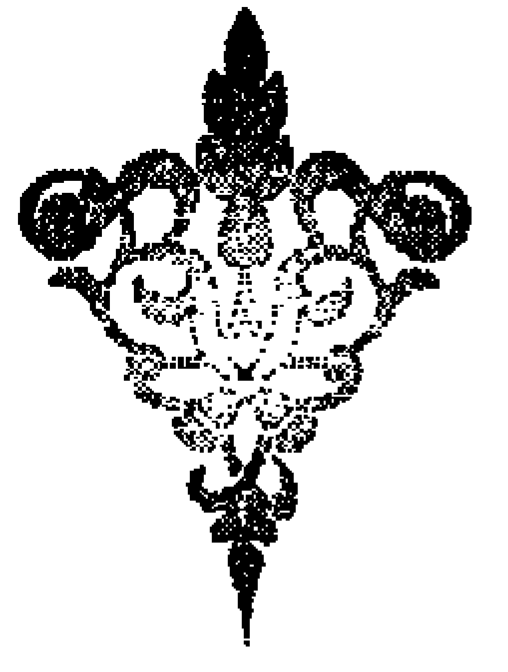
ثم يقلب فى الأوراق التى أمامه ويقول : وأنتقل من المنصورة إلى الإسكندرية . . أما مايسة وزوجها فقد هاجرا إلى كندا . .

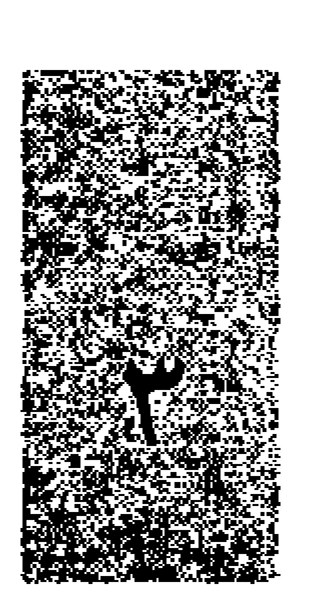
ولأول مرة يتأمل زوجته فيجدها جميلة أجمل من مايسة . . وأطفاله فى غاية الحيوية والجمال . . وفى البيت كلب جميل أيضاً . . وللفيلا التى يسكنها حديقة صغيرة . . الدنيا حلوة . . لقد كان غائباً عن كل ذلك . .

ويغلق د . صلاح نور الدين الملف ويضعه فى مكانه ويرتدى ملابسه ويطفئ الأنوار ويخرج . .

ثم يتذكر شيئاً قد نسيه فى العيادة ، فيفتح الباب ويدخل ، لقد نسى بعض الأضواء . . ثم نسى أن يشرب القهوة . . عندما يدق جرس التليفون ويكون المتكلم هو : المهندس هانى بدر ، ويقول د . صلاح : مين هانى . . أهلاً . . أهلاً وسهلاً . . زوجتى تريد أن تكلمك . . خير إن شاء الله . . انت رجعت للشرب . . ولا عاوز تهاجر إلى كندا . . هـ . . هـ . . أكلمها . . أهلاً وسهلاً ياكاميليا . . خير إن شاء الله . . آه كده . . لا العفو . . بيحبك أكثر من اللازم . . دى بقى علاجها مش عندى . . عندك انت . . لا . . فى الحالة دى انت اللى دكتورة . . انت مجموعة أطباء . . هاها . . هاها . .

يضع سماعة التليفون ويطفئ الأنوار ويخرج . . ويختفى فى الطريق الطويل . .





كما هى العادة يتجه د . صلاح نور الدين إلى الدوسيهات ويقلبها ، ونرى المقعد الطويل ويتمدد عليه أيمن شاكر . . ويحكى حكايته . .ونراه مديراً لأحد الفنادق . . ويدخل النادى الليلى . . وينظر إلى الحاضرين يحيى ويسلم . . ويكاد ينصرف عندما تناديه سيدة جالسة وحدها . . وتقول : ماتيجى تقعد . .

ـ أهلاً وسهلاً . . حضرتك عارفة إننى مدير الفندق ولا يصح أن أجلس إلى أحد . .

ـ علشان أنا . . . ؟

ـ لا العفو . .

ـ أنا لست كما أبدو . . تعرف د . بهاء؟

ـ بهاء مين؟

ـ بهاء شاكر ابن عمك . اسأله عنى .

ـ كنت . . . ؟

ـ زميلته؟

ـ فين؟

ـ فى كلية الحقوق فى باريس . . تعرف أميرة زهران . . . . ؟

ـ طبعاً .

ـ بنت عمتك . . كانت زميلتى فى الليسيه . .

ـ الله إيه الحكاية؟

ـ أيوه هو ده السؤال . . أظن بعد اللى قلته تقدر تقعد وأنت مطمئن .

* * *

ونرى هذه السيدة واسمها هيام حلمى وقد جلست مع أيمن شاكر فى أحد المطاعم وتقول : حكايتى طويلة . . وكان من الممكن أن تكون قصة عادية لاثنين درسا معا . . وتزوجا . وكان من الممكن أن تكون حياتنا سعيدة .

- لولا إيه !

- طبعا لابد أن تكون هناك (لولا) . . ألف لولا . . ولكن (لولا) التى سحقت أسرتنا الصغيرة هى حماتى . . زوجة عمك . . أنت تعرف أن د . بهاء هو ابنها الوحيد . . ومثل كل ام عندها ابن وحيد لا تريد أن تتركه لأية واحدة . . أولاً لأنها تشعر بأنه لا يزال صغيرا وأنه فى حاجة دائمة لها . . وأن أية واحدة مهما كانت تحبه أو متعلمة فإنها لن تحبه مثل أمه ولن تخلص له مثل أمه . . ولذلك إذا سمعت ابنها يسعل فإننا نفاجأ بأنها دخلت علينا غرفة النوم . . ولا يحرجها أى وضع نكون عليه . . بل إنها كانت توقظنا من أحلى نومة وتوبخنى كيف أسمع ابنها يسعل ولا أنهض وأبحث له عن أسبرين . . وأكثر من ذلك . . أحيانا تدق عليه الحمام إذا غاب . . وإذا كلمه أحد بالتليفون فإنها تحمل له التليفون فى الحمام أو فى السرير . . كأننى غير موجودة . . أنا عارفة إنك مستعجل على النتيجة لكى تعرف لماذا جئت

إلى الكباريه . . سوف أقول لك كل حاجة لأنك أنت طرف أيضا في هذه المأساة . .

- أنا طرف . .

- نعم . وسوف تعرف . فأنا لم أذهب إلى هذا النادى الليلى إلا لأننى أعرف أنك هنا . .

- أنت جئت هنا . .

- نعم جئت لكى ألتقى بك . .

- ليس صدفة ؟

- لا . . بل جلست فى انتظارك وتحملت الكثير من رذالة الجرسونات والضيوف الذين وجدوا سيدة وحدها فظنوها إحدى بنات الليل .

- أنا آسف . .

- اسمى هيام حلمى أخت عبد السلام حلمى المحامى . .

- الله أنا أعرفه . .

- أنا متأكدة من ذلك . .

- وبعدين ؟

- وبعدين انتقلت حياتنا من صعوبة إلى صعوبة . . ومن مشكلة إلى مأساة . . وقابلت واحدة تعرفك . . كانت تعرفك . . أو ماتزال تعرفها لا أدرى . .

- مين ؟

- عنايات . .

- آه أنت قابلت عنايات . . ولابد أنها حكت لك حكايتها المفبركة . . إننى أحببتها ووعدتها بالزواج . . وإننا تزوجنا سرا . . وإننا ظللنا كذلك خمس سنوات . . وإنها لم تنجب أطفالا . . وأنا السبب . . مع أن التحليل الطبى أثبت أن العيب فيها هى . . ولذلك تركتها لكى أتزوج واحدة أخرى . . ولما لم أتزوج اعتقدت هى أننى انتهزت هذه الفرصة وتخلصت منها . . ولكى تضايقنى وتغيظنى راحت تتصل بجميع أصدقائى لكى توهمنى أنها على علاقة قوية بهم . . وإنها مستمرة فى حملة فضيحة لى . . وإننى بسبب هذه الفضيحة تركت عملى كأستاذ فى الجامعة واشتغلت بالفنادق وإننى غيرت اسمى . . حتى لا يعرفنى أحد . . ولعلك لاحظت أنهم ينادوننى مستر : جو . . اختصار لجوزيف . . فعندما أخذت الجنسية السويسرية غيرت اسمى . . لأن اسمى المصرى يصعب نطقه . . وخاصة أنه اسم مركب . . اسمى عبدالعال شاكر . . طبعا قالت لك . . أننى تزوجت واحدة قبلها وطلقتها . . وأن الواحدة لم تنجب بسبب عمليات الإجهاض المتعددة . . ألم تقل لك كل ذلك . . ألم تقل لك أننى دخلت مستشفى الأمراض العقلية . . وأن سبب الرعشة فى يدى اليسرى يرجع إلى أيام المستشفى . . أنا كنت نسيت هذه الست المجنونة . . نسيت حكايتى معها . . ولكى أنساها أدمنت الكثير من المخدرات . . والحمد لله ربى شفانى تماماً بفضل د . صلاح نورالدين ولكن ما دمت قد صرت بهذا الشكل وبهذا العنف وعادت الرعشة إلى يدى اليسرى ، فأنا إذن لم أنس كل ما حدث تماماً وأن لدى رغبة شديدة فى الانتقام . .

ومدت يدها ووضعتها على يده . . ثم لمست خده وقالت له : لقد جئت إليك لكى تساعدنى . . ولم أتصور أنك أسوأ حالاً منى . . هل تعرف أننى قابلتها . . ولكن لم أسمع منها كلمة واحدة من كل الذى قلت . . بل هى قالت لى : أنك إنسان طيب . . وأنك محروم من نعمة النسيان . . فلا تزال تخاف من أشياء صغيرة لا يخاف منها رجل عاقل . . أستاذ جامعى . . ولكن اخترت الطفولة . . هل معقول أنك تخاف من الصرصار ؟!

وبسرعة نظر إلى الأرض وابتسم كأنه خاف أن يكون هناك صرصار . . ثم استأنفت كلامها تقول : وهى التى قالت : إن حماتى هى التى طردتك من البيت منذ أكثر من عشرين سنة . . فقد خافت على ابنها منك . . فقد كنت تعرف عدداً كبيراً من البنات . .

- أيوه هذا صحيح . . فعلا أنا لم أعد أراه . ولا أريد . فهو ابن أمه . ولا يعصى لها أمراً . . ولكن أنا لم أعرف منك أين هو دورى فى حكايتك . . أو هل كنت طرفا فى أية خلافات عائلية . .

- آه . . أنت مستعجل . . لن يطول الوقت . . فلن أقوم بدور شهرزاد وأكملها لك كل ليلة حكاية . . هذا الدور أنت لا تدرى به . . ولكنه دور بسببك أنت . . وأنا لم آت هنا لكى ألومك أو أحاسبك لقد انتهى الذى بينى وبين زوجى . . انتهى . . ولا أمل فى أن تستأنف حياتنا ، فأمه لاتزال فى صحة جيدة . . وهى التى عندها الفلوس . . فلوس وسلطة وحب جنونى لابنها وحب خرافى من ابنها . . وكراهية شديدة واحتقار منى للاثنين معا . .

- فين دورى ؟

- حالاً . .

- أنت ظهرت فى التليفزيون وسألتك المذيعة . . عن الزواج أو الزواج السعيد . فكان من رأيك أنه أفضل للرجل أن يختار واحدة لها دراسة مختلفة أو اهتمامات مختلفة . . وأن أكبر غلطة أن تتزوج محامية وأنت محام . . أو مهندسة وأنت مهندس . . مع أن زوجتك الأولى التى تقول أنك لم تتزوجها كانت من نفس تخصصك . . فى ذلك اليوم كنا نرتدى ملابسنا للاحتفال بعيد زواجنا . . وكنا متخانقين . . ولكن كما يحدث بين الأزواج فإن الخناق يؤدى إلى الوفاق إلى الخناق . . . وهكذا . . ولكن كنا قد اتفقنا هذه المرة على ألا نختلف . . ولكن فوجئنا بالست حماتى اقتحمت الباب ـ طبعا هى تسكن معنا فى نفس الشقة ، لأنه يستحيل أن تبعد عن ابنها وتقول لنا : تعرف أننى غلط فى حق صاحبك ده . . كلامه كويس . . سمعته . . وأنت كمان هو بيقول إيه . . آدى الكلام . . يعنى لو كان لسه صاحبك لمنعك إنك تتجوز واحدة محامية . لسانها طويل . . هوه راح فين صاحبك ده .

فيرد زوجى ويقول لها : فى التليفزيون يا ماما . . أنا من زمان خالص ما أعرفش هوه فين . . وحضرتك قلت لى : لو شفته فى السكة لازم أعمل أنى ما أعرفوش . . وتقول الأم : إذا حدث أنك قابلته قل له ماما عاوزه تشوفك وتعتذر لك . . ويقول : حاضر يا ماما . . ده كان كلام زوجى . . وتخانقنا ليلتها . . ولم نخرج . . وحتى لا يكون عيد ميلاد زواجنا هو طلاقنا أيضا . . دخلت أوضة

الأولاد ونمت حتى الصباح . . حتى لا أسعد حماتى بالشماتة فى زواجنا الذى تتمنى له كل فشل كل يوم . .

ثم سكتت . . ولكنه اقترب منها وقال : ما دمنا قد عرفنا بعض أكثر وأكثر . . فأنا أريد أن أعترف لك . . فليس صحيحا أننى لا أعرفك . . بل أعرفك تماما . . وقد سألنى د . بهاء قبل الزواج منك إن كنت تصلحين زوجة له . . فقلت له : أنا أتمنى أن أتزوجها ولكنها لن تقبل . . لأنها تحبك . . وكان من الممكن أن أتقدم لك . . لولا أننى سافرت إلى الخارج وعشت طويلا فى أوروبا . وعندما عرفت زوجتى الأولى وارتكبت غلطة الاعترافات الأولى بقصد تقريب الزوجة من الزوج . . ذكرت لها هذه الحكاية . . وحكاية أنى لو كنت أختار زوجة لاخترتك أنت بالذات . . ومن يومها وهى ترفض أن أذكر اسمك . . أو أى أحد يعرفك . . هذه هى الزوجة الأولى التى كانت حياتى معها جحيما . .

وانفصلنا بهدوء . . أما زوجتى الثانية التى تعرفيها فهى التى نقلت لى أخبار حياتك الزوجية . . والجحيم الذى تعيشين فيه . . هل تعلمين ماذا حدث بعد ذلك . . لقد ذهبت زوجتى الأولى إلى زوجك وقالت له : إننى لا أزال أحبك . . وهوه قال لأمه . . التى لا تحبنى والتى أبعدتنى عنه . .

ثم جاءت لحظات صمت طويل . . وامتدت يدها إلى كوب الليمون . . وهو إلى فنجان القهوة . . وتنهدت وتنهد . . ثم هزت رأسها لتقول : دنيا عجيبة . . أنت فين وأنا فين . . ورغم هذه

المسافة في المكان والزمان فلا أنا بعيدة عنك ولا أنت بعيد عنى . .

ونهضا الاثنان . . ولم يدر بينهما كلام إن كانا سوف يلتقيان بعد ذلك . .

* * *

والتقيا بعد ذلك وقال لها : إن سبب ذهابه لعيادة الدكتور صلاح نور الدين هو هذه الرعشة التى بدأت تعاوده وكادت تكون سبب عجزه عن أى عمل يقوم به . .

وفى إحدى الليالى اتصلت به عند منتصف الليل . واندهش لذلك . وقالت له : عندى ما سوف يدهشك أكثر . . لقد جاءتنى ورقة طلاقى فى الصباح .

وضحك وضحك وقال لها : وأنا أقول لك ما سوف يدهشك أكثر . . لقد اكتشف د . صلاح نور الدين أن مشكلتى الحقيقية ليست زوجتى الأولى ولا الثانية . . ولا اسمى وإنما أننى أحببتك دون أن أدرى . . وأن هذا هو الحب الحقيقى فى حياتى . . هاها . . هاها .

- يعنى إيه ؟

- يعنى د . صلاح نور الدين نصحنى . .

- بإيه . .

- والله ما أنا عارف أقول لك . .

- قول . .

- مش عارف .

- أنا عارفة . .

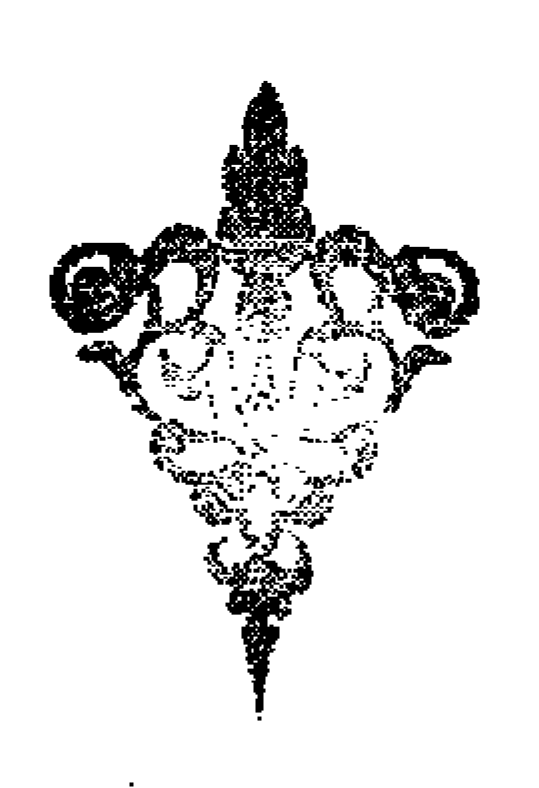
- عارفه إيه ؟

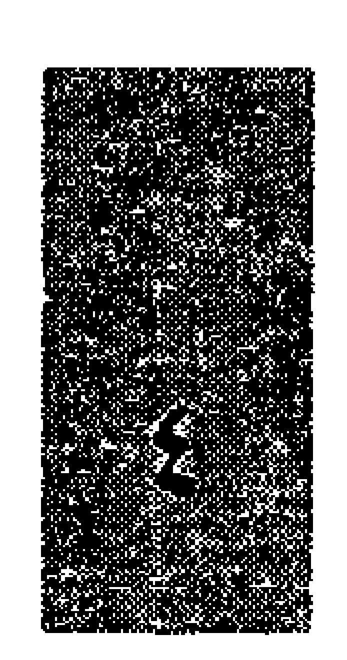
- عارفة وموافقة . .

- إننا نتجوز .

- أيوه . .

وأغلق د . صلاح نور الدين الملف وأطفأ الأنوار وخرج إلى الطريق الطويل !





فى العيادة وكما هى العادة فإنه يقلب فى الملفات . . ويتحدث إلى نفسه . . ثم يختار منها واحداً . .

ونرى الدكتور وقد أعد جواً شاعرياً . . الشموع . . والورد . . وراح يرش العطر فى المكان . .

وجلس الدكتور وقد ارتدى ملابس فى غاية الأناقة . . وراح ينفض بقايا السجائر . .

ثم جلس على مقعده الذى يدور حول نفسه . . يدور ويدور بشدة حتى يخيل إليه أنه قد داخ أو أغمى عليه . . وانتقل إلى عالم آخر . . عالمه النفسى .

ونرى عدداً من الفتيات الجميلات . . ولكن واحدة لا تلفت نظره على الإطلاق . . ثم يقف . . ويمشى قليلاً ثم يعود مكانه فى أحد المطاعم . .

ويبدو أن المطعم قريب من المطار . . وينظر إلى الطائرات وإلى ساعته . ثم يستخرج ورقة مكتوب عليها مواعيد الطائرات . . وينظر إلى ساعته . . وقد وضح القلق على وجهه تماماً . . وفجأة ظهرت إحدى مضيفات الطيران فتهلل وجهه . . ثم عاد فجلس . . إنها ليست هى . . وفجأة جاءت مضيفة ووضعت يديها على عينيه . . وقالت : أنا مين ؟

وظهرت السعادة على وجهه وكان فى نيته أن يقول شيئاً ولكنه عدل عن ذلك مكتفياً بأنها جاءت . جاءت قبل موعدها .. المهم أنها جاءت .. وجاء معها الدم فى الوجه والابتسامة والضحكة والارتياح التام والجرسون يسأل : الهانم تشرب إيه ؟

قالت : عصير برتقال ..

وقال لشريف حسان : وسيادتك .

قالت هى : طبعا عصير برتقال مش كده يا شريف .

وهز شريف رأسه موافقاً .. ثم قال لها : يعنى ما يصحش أشرب مثلاً عصير ليمون .. عصير مانجو .. لازم أشرب زيك .. أعمل كل حاجة زيك .. طيب أنت حلوة .. وجميلة .. وأنا لا حلو ولا جميل .. طيب أخلى الناس تبص لى زى ما همه بيبصوا لك إزاى ..

هى : طبعا مستحيل .. الجمال ده لى أنا .. والعقل لك أنت .. أنا من غير عقل وأنت من غير قوام وجمال ودلال .. عدل والله عدل .. تبقى مصيبة لو كان عندك الجمال والمال والعقل .. أو كان عندى أنا ..

– تعرفى يا مى .. لو كان عندك أنت ده كله .. ما كنتش عرفت أوصل لك .. لكن أنا لو عندى ده كله كنت حاجرى وراك .. وأطاردك وأحبك زى ما أنا بأحبك دلوقت !

هى وقد اقتربت منه : بس أنا زعلانة منك .

– ليه ؟

– أنت عارف ..

- والله ما أنا عارف . . علشان أنت بتلاقى أسباب كثيرة تزعلك منى . . عدد المرات اللى أنت قلت فيها إنك زعلانة منى بقت مائة مرة . .

- يا راجل حرام عليك . .

- تحب نحسبها . .

- لا . . بلاش فى عرضك . .

- طيب قولى أنت زعلانة منى ليه . .

- أقول لك يا سيدى . . انت من رأيك أننى إنسانة هايفة تافهة . . حلوة وبس . . يعنى لو طلبت منك توضح لى إيه المكتوب فى الجرايد . . تسكت وتقول : عندك الجرايد الأجنبية مكتوب فيها كل حاجة . . أنا عارفة لكن أنا عاوزة أعرف وجهة نظر مصر . . بلدى . . ثم أنت عارف . . أنا ما عنديش وقت . . ما أنت عارف أنا باشتغل إزاى وفى أى ظروف . . نطير بالساعات ونصل فى ساعات الليل المتأخرة . . يدوب آخد دش وأنام . . ولما أقوم من النوم أنزل أتمشى فى البلد وأشترى حاجة لى ولغيرى وبسرعة نرجع على الطيارة . . وندور فى الساقية . . قل لى بذمتك اقرأ إمتى . . وأفهم إمتى . . ولما الناس بيسألونى يبقى شكلى وحش جداً . .

وفجأة تظهر مضيفة أخرى وتناديها مى قائلة : أنت يا دودى . . دودى . . تعالى . . عاوزه أعرفك بالفيلسوف بتاعنا . .

وتتقدم المضيفة دودى . . وتقترب من مى وتقبلها ويدور بينهما كلام سريع غير مفهوم . . إنهما يتحدثان فى أمور خاصة جداً . .

ثم تقدمها مى للدكتور : أعز أصدقائى وهى التى نسميها الفيلسوف بتاعنا . . تسأل عن كل شىء فى البورصة وفى الصرف الصحى وفى الجامعات والجماعات الدينية . . بمنتهى الاهتمام . . وهى تقرأ كل الصحف بخمس لغات ومضيعة وقتها فى الكلام الفارغ وبعدين تسألنا . . ونظهر أمامها كأننا تلامذة صغار وجهلة . . يا دودى أقدم لك أعز الأصدقاء د . شريف حسان أستاذى وطبيبى . . وكل حاجة كده . .

دودى تقول : أنا أعرف كل شىء عن الدكتور . . أنت قلت لنا كل حاجة . .

مى : أنا قلت لك يا كذابة .

دودى : أيوه أنت قلت كل حاجة . . حتى الكرافتة اللى هوه لابسها دى أنت شارياها له من باريس . .

مى تضع يدها على فمها لكى تسكت .

ولكن د . شريف سعيد بهذا الحوار السعيد . .

وتتوجه (مى) بالكلام إلى دودى : إذا كان عندك أسئلة . . بسرعة قوليها للدكتور . . مش تسألينا فوق السحاب . . وأنت عارفة أننى ما عنديش وقت للقراءة . . اسألى فى أى موضوع حتلاقى عنده الإجابة . .

وتودعها دودى وتختفى . عندما تجلس مى إلى الدكتور وتقول له : طيبة جداً ودمها خفيف . . ونحن نشعر أمامها جميعا بالجهل . . مش أنا بس . .

ويقطع الدكتور حديثها ويقول لها : وحشتينى .

- وأنت كمان .

- مش عارف أقول لك إيه . . صوتك . . عينيك . . تعرفى يا مى . . إن كل البنات . . اللى بأشوفها دلوقت . . واللى شفتها قبل كده . . مالقتش واحدة زيك . . والله ما لقيت . . وزى مابقول لك دايما . . وأنا ما زهقتش من الكلام . . يمكن أنت زهقتى . .

- أنا أزهق منك . . والله لو فضلت تتكلم ليل نهار حتى نهاية العمر . . مش ممكن أقاطعك . . ولا آكل ولا أشرب . . مين يزهق من كلام بيطلعنى مش فوق السحاب . . بيطلعنى السما . . فوق . . يمكن فوق فوق السما نفسها .

- وبعدين يا مى .

- وبعدين . . مفيش بعدين . . أنا أعيش الحب دلوقت فى (البعدين) . . عرفنا بعض . . حبينا بعض . . وغرقانين فى الحب . . ولا عارفة لى رأس من رجلين . . ولا عارفة أفكر فى أى حاجة . . ولا أى إنسان . . والله العظيم لما أقعد مع أصحابى . . مع الطيارين . . حتى مع الركاب . . ولا واحد منهم يملأ عينى . . وبيركب معانا وزراء ونجوم سينما . . والله ولا واحد زيك . . لا كلامك . . ومش عارفة بالضبط إيه اللى حصل . . أنت استوليت على كل مشاعرى . . ملأت عينى وأذنى . . حتى أحضانى . .

- أنا فى أحضانك . . يا حسرة . . إمتى بس قولى لى . . إمتى ربنا يجعلنا سوا . . إمتى ما هو أنا لو أعرف إيه اللى بيحصل

لنا . . لو أعرف إزاى أنت تبقى كويسة يوم وعاصفة وبركان يوم ثانى . مش يوم . . أيام . . أسابيع . . شهور . . لو أعرف !

وتتغير معالمها مرة واحدة وكأنها انقلبت إنساناً آخر . . وتقول له : انت السبب . . مش عارف ليه أنت السبب . . بلاش والنبى تخلينى أتكلم . . بلاش أحسن أنا عندى صداع . .

– حالاً عندك صداع . . بسرعة كدة . . بقى فى الطيارة وفى رحلة ١٥ ساعة ما حصلش الصداع . . وبعد ١٥ دقيقة من القعاد معايا جالك الصداع . . الصداع هو أنا طبعا . . أنا صداع يا مى . .

– أنت أصلك غريب جداً . . أقول لك ولا تزعلش منى !

– قولى . . قولى . .

– وبتقولها كده ليه . . كأنى مصيبة . . أو كأن اللى حأقوله مصيبة . . يا ساتر يا رب . . بقى مسافرة ١٥ ساعة علشان أسمع منك كلمة حلوة . . تقوم تقول لى : قولى . . قولى جلك ستين نيلة . . قولى بمنتهى القرف طيب بذمتك أقول إيه إذا كنت بتكلمنى باللهجة دى . .

– لهجة ؟ هوه أنا قلت حاجة ! أنت مش قادرة تستحملى منى أى حاجة . . أنا مش عارف حب إيه ده . . حب ولا كره . . إزاى بنحب بعض بالشكل الجنونى ومش قادرين نستحمل بعض ١٥ دقيقة . . حتى مش ١٥ دقيقة . . يمكن ٥ دقائق . . وأنا قاعد مستنيك بقى لى خمسة أيام . . أرجوك تقولى . . أتوسل إليك . . أبوس القدم وأبدى الندم قولى يا مى . .

- حاقول بس ما تزعلش . . أنا مش عاوزة أخلى فى نفسى حاجة . . فاكر المرة اللى فاتت لما بأقول لك أنا عاوزاك تنزلنى عند بيت صاحبتى . . وبعدين غيرت رأيي وقلت أكلمها فى التليفون . . وبعدين أنت قلت لى (تحاول أن تقلده فى الكلام) . . أنا أوصلك لبيتها على الأقل أعرف عنوانها . . تصور أنت عاوز تعرف عنوان صاحبتى . . وقبل كده طلبت منى رقم تليفونها يعنى ده إيه ؟ . . يعنى إنك عاوز تكلمها . . وتكلمك . . وتاكل بعقلها حلاوة . . صاحبتى عاوز تعرفها . . اسمه إيه ده يا أستاذ . . اسمه حب برضه . . وإلا له اسم تانى . . وبلعت الحكاية دى ولكن بعد كده كررت أنك عاوز تعرف عنوانها . . مش ده حصل ؟!

ويقف الدكتور فى حالة غضب ويقول لها : بالذمة أنت مش مجنونة . . بقى يا مجنونة أحبك كل الحب . . وأقول لك اللى قلته . . شعر بأقول فيك شعر . . وبعدين عاوز أعرف عنوان صاحبتك . . ولما أكون عاوز أعرف صاحبتك أسألك أنت . . وإذا كنت عاوز أعرف عنوانها أو تليفونها علشان أسأل عليك . . اطمئن عليك وأعرف أين أنت علشان أكلمك . . وحصل كذا مرة الطيارة تأخرت ست ساعات . . عشر ساعات وما عرفتش أنام . . يا مجنونة . . اللى بيحبك يقدر يبص لأى واحدة ثانية . .

- كلكم بتقولوا كده .

- كلنا . . والله ما أعرفش مين كلنا . . وأنا ما سمعتش حد بيقول كده لواحدة . . أنا بأقول اللى بأحسه . . يجوز أنت اتقال لك الكلام ميت مرة . . وعلشان كده كلامى مالوش قيمة . .

يظهر أنا قلت كلام كثير . . والكلام الكثير يفقد قيمته . . إنها غلطتـــى . . غلطتـــى أنا مفيش حاجة فى الأدب ولا فى الشعر ما قلتهاش لك . . يعنى كلامى الجميل مرطرط عندك . . كوم تراب . . معـاك حق يا مى . . أنا غلطان . . أنا اللى رخصت نفسى . . مش غلطتك . .

- . . . . . .

* * *

وفى طائرة الاثنان يسافران إلى الخارج . .

تقول : كويس إنك اخترت شركة طيران غير بتاعتنا . . وإلا ما كنتش أقدر أسافر معاك زى ما احنا عاوزين . .

يحاول أن يطلب شيئاً ولكن المضيفة لا تجىء . . فيظهر عليه الغضب فتقول له مى : اصبر شوية عدد الركاب كثير . . وهى تعمل وحدها . . ولابد أنها تقدم طعام الغداء . . اصبر . .

- وأنت عرفت منين ؟

- أنت ناسى أنا باشتغل إيه . .

- إياك تكونى عاوزه تمشى وتساعديها . .

- والله ما عندى مانع . .

- تسيبينى وتخدمى على الناس .

- عندك مانع . .

- والله لو كان جنبى شباك مفتوح فى الطيارة لرميت نفسى دلوقت حالاً . . أنت اتجننت . .

- يا شيخ أنا بأضحك وياك . .

- والله أنت بتتكلمى جد . .

- إفرض يا أخى . . غصب عنى . .

- أنا شفتك أكثر من مرة . . بتوطى على الأرض وتربط جزمة طفل . .

أنا مش ناسية أننى مضيفة . . وأنت مش ناسى إن عندك مصنع جزم . . خالصين ؟

- خالصين ! بس عاوز أعرف إيه اللى خلاك إمبارح قفلت السكة فى وشى . . ليه . . إيه اللى جرى . . أنا مسافر معاك فرنسا لسبب مهم جداً . . عاوز أعرف منك وبمنتهى الوضوح إيه اللى قلبك . . إيه اللى حولك بالشكل ده . . نفسى أعرف . .

- أنا مش عارفة إيه اللى بيحصل لى . . مش عارفة . . غصب عنى . .

- إيه هو اللى غصب عنك ؟

- والله أنا مش كده . . وأنا عارفة أننى مش حلاقى واحد زيك . . والله ده رأيى . .

- وهو فيه رأى تانى . .

- فيه . .

- رأى مين . .

- صاحباتى . .

- بيقولوا إيه . .

- كلام كثير . .

- عنى . .

- أيوه . .

- زى إيه . .

- إنك عرفت كثير . .

- عرفت كثير . وانتهى . .

- بالنسبة لى ما انتهاش . .

- وأنت مش عرفت كثير . .

- لا مش قدك . .

- لكن عرفت . . وسافرت وخرجت ورقصت . . وقلت واتقال لك . . كل ده مش مهم . . المهم أنت معايا . . وأنا معاك . .

- عاوز تعرف الحقيقة ؟

- أرجوك لأننى تعبت .

- أنا لى طلب عندك .

- اتفضلى .

- وتحقق لى الطلب ده .

- أيوه .

- ومش حاتزعل .

- ومش حازعل .

- أرجوك تأجل الحكاية دى لما نرجع مصر . وأنا حايكون رأيى نهائى فى كل المشاكل اللى بيننا . .

- هوه فيه مشاكل .

- طبعاً . .

- أنا مش شايف مشاكل . . لكن أنا شايف أنك بيطلع فى دماغك حاجات ويحدث انقلاب . . زلزال . . بركان . . مش عارف إيه اللى بيحصل . .

- تفتكر إيه !

- أنا ! ولا أعرف . . أنا عاوز أعرف . .

- خلاص خلينا نتفرج على باريس . . وننسى . . وننسى .

- أنسى إيه .

- كل الحاجات اللى مضايقاك .

- (ضاحكاً) أنسى اللى مضايقنى . . إذا كنت واخده معايا . . أنساه إزاى . . هاها . . هاها . .

- (لا تضحك وتتضايق) كده . . هوه ده رأيك . . ولما ده رأيك جرجرتنى وراك ليه . . وأنا اللى كنت فاكرة أنك حتورينى الدنيا . . الجنة . . النعيم والله أصحابى كان عندهم حق لما قالوا .

- قالوا إيه . .

- قالوا . . مش مهم اللى قالوه . . لكن طلع كلامهم مضبوط . .

- . . . .

* * *

فى باريس تجلس مى وحدها على مقهى . . وتتلفت حولها . . ويظهر واحد يضع يديه على عينيها وهو يقول : طبعاً أنت عارفة أنا مين . . أنا فؤاد عبد السلام . .

وتضحك . . ويظهر على وجهها شيء من الضيق . . ويجلس بسرعة ويطلب فنجان قهوة . . وبسرعة يدخلان فى حوار جاد .

- عملت إيه ؟

- أدينى منيلة .

- وصلت لحد فين . .

- أنا عارفة لى رأس من رجلين . .

- أنت غرقانة فى الحب .

- طبعا . .

- وبعدين . .

- لازم تسيبيه . .

- أسيبه إزاى . . ده الرجل يموت . .

- وأنت ؟

- أنا عارفة حيحصل لى إيه . . والله حرام . .

- لازم تسيبيه . .

- كل يوم أقول حكاية وأخترع قصة . . وعذبت الرجل معايا . وكلامه يقطع القلب . . وكلامه يملأ الدماغ . . وأنا وصلت لمرحلة بدأت أنكسف من نفسى . . كل يوم أخترع أكذوبة . .

- اسمعى يا حبيبتى .. لازم تسيبيه بأى شكل ..

- يعنى إيه بأى شكل ...؟!

- بأى شكل .. لازم تسيبيه .. هل أنت عاوزة منه حاجة ..؟

- كل حاجة .. ولكن أسيبه ليه ؟ !!

- خلاص مش عاوزين منه حاجة .. إحنا كنا عاوزين نعرف مين أصحاب المهندس شوكت سليم ..

- مين شوكت سليم ؟!!

- آه .. الرجل الحليوة اللى قدم لك نفسه فى الطيارة وقال لك : أنا أخطبك دلوقت .. وأنت حتوافقى .. والزواج رضا وقبول والناس كلهم شهود علينا خلاص بقى ..!!

- مش فاهمة !

- المهندس شوكت بيبنى استحكامات عسكرية .

- يعنى إيه ؟

- لسه مش فاهمة !!

- يعنى كان دورك فقط أنك على صلة بالمهندس حشمت .. وكانت لك صلة .. وعرفنا كل أصحابه .. ولكن حبيبك بتاع مصنع الجزم ده .. كان يجب أن ينتهى دوره .. أنت اللى شبطى فيه .. لازم تسيبيه .. انتهى دوره ..

- يعنى إيه ؟

- أنت عارفة فى الشغلانة بتاعتنا .. لا حب .. ولا عشق ..

- مفيش حب ؟

- أنت عارفة . .

- أنا نسيت . .

- بالذوق كده العلاقة دى لازم تنتهى . .

- بالذوق ؟

- (ضاحكاً) طبعا بالذوق لأنه من الممكن أن تنتهى بالقوة . .

- يعنى إيه ؟

- (يضع يده على رقبتها كأنها سكين) .

- تقطع رقبة مين ؟!!

- أى حد ! مفيش حب عندنا .

- صحيح مفيش حب ؟!

- ودى ثانى مرة . . الرجل الأمريكانى اللى أنت حبتيه وكان لازم تسيبيه . .

- والرجل المصرى اللى أنت اتجوزتيه سراً . . من ورانا . . كان لازم تسيبيه . ده بالذات لازم تسيبيه فوراً . .

- ليه فوراً ؟!

- لأنه على صلة بشبكة ثانية .

- تجسس برضه ؟ وهوه يعرف . .

- هوه ما يعرفش . . لكن عن طريق الارتباط بك حنقع فى مشاكل لا داعى لها . .

- عندك حل ؟

- كثير .

- مثلاً . . .

- كثير جداً . وأنت عارفة . .

- عندنا الموت والمرض والجنون وحوادث السيارات . . والسموم . . والاعتداء . . وإحراق المصنع . . وعندنا . .

- إنكم تقتلونى .

- أديك عارفة !

- . . . .

- . . . .

* * *

فى إحدى المستشفيات . .

تدخل غرفة (العناية المركزة) وفيها يتمدد د . شريف حسان وقد وضعت أجهزة التنفس فى أنفه . .

ومى تدخل وتخرج والدموع فى عينيها . . ثم تجلس أمام غرفة (العناية المركزة) عندما يظهر فؤاد عبد السلام وتتضايق لرؤيته . ثم تقف وتصافحه .

يقول لها : جرى لك إيه . . هيه دى أول مرة . . أنت فاكرة حكايتك مع المليونير الخليجى . . حب . . وفلوس . . وزواج . . وانتحار . .

وتغطى وجهها . .

ويمضى هو فى كلامه : والمهندس الأمريكى . . وابن عمك . . والكابتن الطيار . . مش كل دول كانوا بيحبوك . . وحيموتوا علشان يتجوزوك . . وحصل إيه ولا حاجة . . اشمعنى ده . . ماهو راجل عبيط زى كل الرجالة اللى أنت وقعتيهم . . حنضحك على بعض؟!

ثم يمسكها من ذراعها ويشخط عليها قائلاً : كان فين قلبك ياست هانم . . لما كل دول انهاروا واحد وراء واحد . . أنت عجزت والا إيه . . احنا شغلنا كده . . مفيش قلب . . وكل الناس كلاب . . والمصلحة العامة هى كل حاجة . . مش المصلحة العامة ومصلحتنا . . كنت حتسددى ديونك إزاى . . كنت حتتعالجى من الإدمان إزاى . . مش كله بثمنه . . حاولى تختفى بسرعة . .

وهى تبكى : يعنى إيه ؟

- يعنى (ويهز كتفيه) .

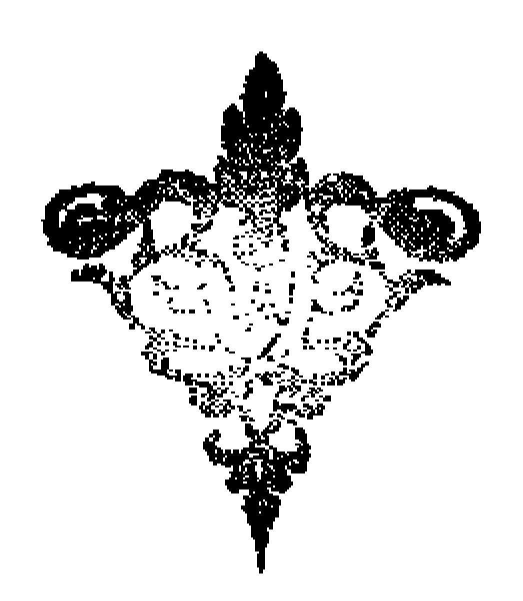
- حيموت ؟!

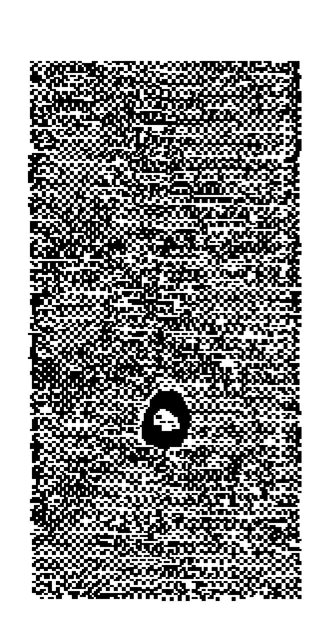
- (ويهز رأسه) الأعمار بيد الله . .

- يا كلب . . يا كلاب . . يا أولاد الكلاب . .

وتنهار على مقعدها . .

ويدور الدكتور فى مقعده ويدور ويفيق . . ويرتدى ملابسه ويخرج كما هى العادة من عيادته عائداً إلى بيته . .





يجلس الدكتور على مقعده الذى يدور ويقلب فى الملفات ويضحك . . ثم يختار واحداً من الملفات . .

ونراه فى إحدى الحفلات . . وهو يتحدث مع كل السيدات . . هذه كلمة . . وهذه نكتة وهذه قبلة . . ويجىء رجال كثيرون . . ولا نعرف من هى الفتاة التى ينتظرها ثم ينفرد بإحدى السيدات .

ويدور بينهما هذا الحوار . .

هى : وبعدين يا عادل ؟

عادل عبد الحميد : أنا دخت مع صاحبتك دى . . رأيك إيه يا درية .

درية : أنا قلت لك أنت حتتعب معاها جداً . .

- طيب أعمل لها إيه .

- ولا حاجة . . هيه كده . . دماغها ناشف . . أمها كده وأختها وأبوها . . كل العيلة . .

- مصنوعة من حجر . . بس نرمين مصنوعة من حديد . .

هى : وحياتك ولا حديد . . دى زى الورق . . قش . . بس أنت اللى مش عارف تسكتها . .

- يعنى إيه ؟

- يعنى إحنا يا صنف الجزم ما ينفعش معانا الذوق . . الواحدة مننا عاوزه اللى يضربها مرة باللى فى إيده ومرة باللى فى رجله . .

- معقولة .

- آه معقوله . . انتوا اللى بتخسروا الستات . . أنا جوزى لما يزودها اتخانق معاه .

- يزودها يعنى إيه ؟

- يعنى لما يقول لى يا حبيبتى . . يا روحى . . يا نور عينى . . يا اللى كل ما فى الدنيا . . ابقى متضايقة . . لأنى لما بشوف نفسى فى المراية . . مش لاقيه حاجة من اللى بيقولها . . وشايفة الزبائن فى المحل يقرفونى ويكفروا سيئاتى . . ومضطرة استحملهم . . ولما ارجع البيت ألاقى جوزى مستنينى على نار . . وأنا تعبانة وقرفانة من الرجالة ومن الستات . . وألاقيه عامل لى جو شاعرى فى البيت . . ابقى حاطق . . ولابد أعمل حاجة تنرفزه . . والمصيبة إن أعصابه حديد . . مرة من المرات رجعت لقيته محضر لى هدية . . مع أنه عيد ميلاده هو . . فمن غيظى وقعت التورتة على الأرض . . ما أعرفش إزاى . . وبمنتهى البرود . . شال التورتة ومسح مكانها ووجدته فى غاية السعادة وقال لى فداك . . أنا كنت عامل حسابى . . أتاريه جايب تورتة ثانية وحاططها فى الثلاجة . . اتخانقت . . وبعدين صالحته واعتذرت له . . المصيبة أنه قبل اعتذارى . . وكان نفسى حاجة تحصل . . أهو أنت زى جوزى بالضبط . . ويمكن ألعن . .

- أنا طبعى كده . .

- اسمع يا عادل . . أنت بالضبط الشخص اللى أنا ما أحبش أتجوزه بالضبط . . أنت زى جوزى . . يمكن أنت ألعن شوية . .

وتتركه درية أمين . .

وبسرعة تظهر واحدة من الموجودات فى الحفلة . وتقترب من عادل عبد الحميد وتقول له : أنا عارفه أنتوا بتتكلموا فى إيه . . وعلى مين . . طبعا مراتك . .

عادل : بالضبط كده . . إزيك أنت يا زينب . .

زينب : كويسة الرك عليك انت وست الحسن والجمال . . هيه لسه فى بيت أبوها . . ؟!!

– أيوه .

– لحد إمتى ؟

– لحد ما تعقل .

– وحتعقل إمتى إن شاء الله ؟

– لحد ما واحدة من صاحباتها يحطوا لها عقلها فى دماغها . . ويحطوا لها قلبها فى مكانه على الشمال مش على اليمين . .

– عاوز كلمة وحكمة ؟

– فى عرضك . .

– أنت يا عادل مزودها شوية . . خليك حنين معاها . . إنت كل حاجة تحاسبها عليها . . إن ضحكت . . ضحكت ليه ؟! . . إن قالت نكتة قبيحة . . يتهيأ لك أنها تعرف راجل تانى غيرك . . والراجل ده هو اللى قال لها النكتة دى . . أصلك أنت ما تعرفش الستات لما يقعدوا مع بعض بيقولوا إيه . . والله لو عرف الرجالة إيه اللى بيقوله الستات ، ما كانش واحد إتجوز . . وإحنا بنقول

كلام . . ولما يظهر قدامنا راجل واحد . . أدب إيه وذوق إيه . . ورقة إيه . . والنبى كل الرجالة عبيطة . . وأنت أكبر عبيط . . أكبر عبيط أقول لك ليه . . لأنك فاكر إن مراتك دى سقراط ولا أينشتين . . بتفهم فى كل حاجة . . وتتذوق الموسيقى الكلاسيكية ولوحات بيكاسو . . مراتك دى عمرها ما قرأت كتاب واحد فى حياتها . . وطول عمرها بليدة فى الفصل . . لكن هى ذكية . . بتسمع كلمة من هنا وكلمة من هناك . . وتنقل اللى سمعته زى البغبغان وأنت بيتهيأ لك أنها عليمة ببواطن الأمور . . أنت فين وهيه فين . . أنت فوق فوق . . وهى تحت تحت . . ولازم تعرف كده . . علشان ما تحاسبهاش على الصغيرة والكبيرة . .

- الله هى قالت لك كل حاجة ؟

- قالت لى ؟ دى قالت لطوب الأرض . . الحلاق عارف حكايتكم والخياطة والست بتاعة المنكير . . ومالناش حكاية غير حكايتك وياها . ولما نكون عاوزين نتسلى نروح لمراتك إيمان . . ونقول لها : عاوزين المشهد الأول من الفصل الثانى . . وتيجى إيمان واقفة وبعدين تقعد بالضبط زى ما أنت قاعد كده وتحكى لنا يوم رجوعك من السفر من أمريكا وكان عندك مؤتمر علمى مش عارف عن الذرة ولا عن أمراض القلب . . ولأنه ما كانش عندك وقت . . جبت لها علبة جميلة . . وفى العلبة خمسين ألف دولار . . ووقعت الدولارات على الأرض . . وأنت قعدت تلم الدولارات . . وتقلب فيها وتقرأ أرقامها . . وسرحت . .

وسرحت . . وقعدت على الأرض وانشغلت تماماً . . وهيه سيباك قاعد على الأرض سرحان وراحت نامت . .

- وبعدين ؟

- أنا عارفة . . وبعدين قعدنا نضحك . .

- على إيه ؟

- عليك طبعا . . حتى ده قالته . .

- لى أنا وحدى ؟ لكل الناس . . رأيى الشخصى طلقها . . طلقها . . لا عندك أولاد ولا حاجة . . دى كان لازم تتجوز ابن خالتها . . أهو صايع زيها . .

- هوه لسه ابن خالتها فى الصورة . .

- طول الوقت .

- ولكن هيه قالت إن دى حكاية قديمة انتهت . .

- أحسن واحد يناسبها . . جاهل زيها . . مغرور وبخيل وهو اللى بيخليها تصرف . أنت عارف إنها غنية جداً . .

- لا ما أعرفش . . أنا مالى ومال فلوسها . .

- مش هيه صاحبتى . . لكن بمنتهى الأمانة ما حدش ينفعك غير واحدة عينيها عليك من زمان . . وخاتم فى صباعك وتعرف قيمتك وتحطك على دماغها . . وكان أملها أنها تكون دكتورة زيك . . ودخلت كلية الطب وما كملتش لأنها اتجوزت جوازة منيلة . . وحتطلق يمكن بكره ولا بعده . .

- مين دى ؟

– وإيه فايدة أنى أقول لك مين هيه ما دمت حتفضل مع مراتك .. اسمع يا عادل .. ولا بلاش .

– قولى .

– الكلام مالوش معنى .. هل أنت بعد كل اللى سمعته .. حتعيش معاها .. هيه مش صاحبتى وحبيبتى وزميلتى .. ما تستاهلش واحد عظيم زيك .. أنت اللى زيك فى الدنيا يتعدوا على الصوابع .. لكن تقول إيه .. بخت .. بختها ..

– مين هيه ؟

– واحدة ..

– أنا شفتها ؟

– شفتها وكلمتها وقعدت معاها .. واتكلمت معاك .. والله أنا مستعدة أجيبها لك دلوقت .. لكن يمكن أنت عاوز ترجع مراتك .. مش أنت طلقتها .. يمكن ترجعها .

– يجوز .

– خلاص يبقى ما فيش فايدة .. كأن الكلام اللى أنا قلته كلام فى الهواء .. يبقى أنت لسه بتحبها مع أنها ضحكت عليك الدنيا والله حرام عليها ..

– لا أنا مش حارجعها أنا تعبت معاها .. ومش عارف أتعامل معها .. ناس بيقولوا أنى فى منتهى الذوق معاها .. وناس بيقولوا أننى أحاسبها حساب الملكين مع أننى زى ما أنت شايفة .. وناس بيقولوا أننى أنا السبب فى دخولها مستشفى الأمراض العصبية ..

- أنت ؟ أبداً . . أنا عارفة سبب دخولها مستشفى الأمراض العصبية . . أنت مش عارف والا إيه . . مش أنت اللى قلت لها تنزل اللى فى بطنها . . لأنك ما بتحبش الأطفال . .

- فى بطنها . . هيه كانت حامل ؟

- الله . . دى هيه اللى قالت وهى منهارة إنك هددتها بالقتل لأنك ما بتحبش الأطفال . . وإن دى عقدة عندك من أيام الطفولة . . الله أنت ما عندكش خبر والا إيه . .

ويظهر الدكتور صلاح نور الدين على مقعده ويدور وتجلس أمامه زوجة عادل عبد الحميد ويقول لها : مفيش فايدة يا مدام . . مفيش بينكم أى اتفاق فى أى حاجة . . جوازكم غلط من أوله لآخره . . سيبوا بعض . .

وتنهض زوجة عادل عبد الحميد .

ويقلب الدكتور فى الملفات . . وينهض ويرتدى ملابسه ويخرج كما هى العادة . .

ولكنه يجدها منتظرة أمام الباب . وتقترب منه وتقول له : معايا سيارة يا دكتور . . تعال أوصلك . .

الدكتور : شكراً أنا أحب المشى . . والمشى بيريحنى جداً . . شكراً . . تفضلى حضرتك . .

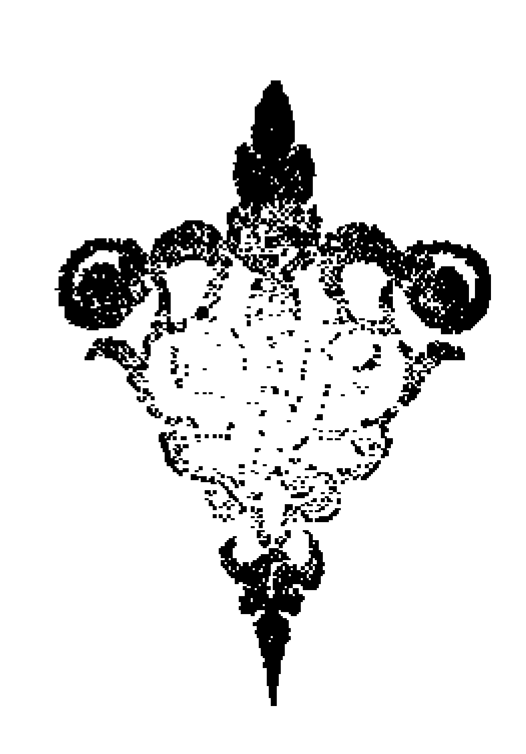
ولكنها تصر على أن يركب معها . . ويظهر عليها الاضطراب الشديد وهى تقود سيارتها . . فيطلب إليها أن تتوقف . وتترك

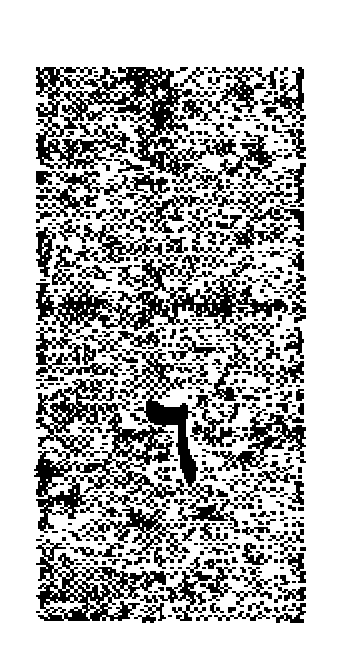
السيارة وسوف يصحبها إلى بيتها . . ولكنها تخرج مسدساً من شنطتها وتطلق النار على الطبيب . .

لتجده بعد ذلك جالسا فى إحدى المستشفيات مربوط الذراعين . . وينظر فى كل اتجاه ويبتسم . .

ثم نراه بعد ذلك جالساً فى عيادته على المقعد الذى يدور ويدور . . وينهض كما هى العادة . .

ويرتدى ملابسه ويخرج . . ويتلفت وراءه فى حالة من القلق . . ثم يمضى عائداً إلى بيته . .





كمـا هى العادة يذهب الدكتور صلاح نور الدين إلى عيادته إلى مقعده . .

ويظهر البشر على وجهه . . ثم يضحك وينهض ويصنع لنفسه فنجـان قـهـوة . . ويجلس . . ويقلب الفنجـان . . ثم يقلب فى الملفات . . ويقلب الفنجان وينظر إلى داخله . .

ومن داخل الفنجان تظهر شقة كاترين قارئة الفنجان . .

كاترين سيدة أرمنية تسكن فوق السطوح . . شقتها صغيرة أنيقة جداً . وفيها عدد كبير من السيدات . وكل واحدة معها فنجان ملفوف فى ورق سوليفان . .

وتدخل دولت وحدها . . ومعها تليفون محمول وتطلب رقماً وتقول : أنا قاعدة بره ومسافرة النهاردة . . وأنا جيت لك فى الموعد المحدد . . قلت إيه يا كاترين . . طيب . . بعد أد إيه . . أوكى . .

والسيدات ينظرن لها . . فى دهشة وفى ضيق . .

وتظهر خادمة أرمنية أيضا وتقول : مدام دولت . . اتفضلى . . أنت حاجزة من أسبوعين . . تفضلى حضرتك . .

النساء يتضايقن وكل واحدة تقول كلمة . . ولكن الخادمة لا تهتم وتضع دولت فى يدها عشرين جنيهاً . .

وتظهر كاترين وقد ارتدت ملابس الراهبات . . وجهها أبيض جميل . . وتجلس دولت الشربينى وتخرج الفنجان من شنطتها . .

وتنظر فيه كاترين . . ثم تطلب من خادمتها أن تأتى بفنجان قهوة لدولت . .

ويجىء الفنجان بسرعة . .

وتطلب منها كاترين أن تلمس الفنجان بشفتيها وأن تهمس فيه . . بأى كلام . . المهم أن أنفاسها تختلط بالبن . . وتقلب الفنجان . وتخرج دولت من حقيبتها جهاز تسجيل لتسجل كل كلمة تقولها كاترين . .

كاترين تقلب الفنجان . وتنظر فى داخله وتقرأ :

أول حرف من اسمه . . الف . . الف . . أحمد . . أمير . .

- أيوه اسمه أمير . .

- كان متجوز قبل كده . . مراته ماتت . . صح .

- أيوه .

- وعنده أربعة أولاد . . ثلاث بنات وولد .

- تمام كده . .

- أنت عاوزه تتجوزيه ؟

- أيوه . . إيه رأيك أنت ؟

- مش عارفه . .

- طيب هو بيصدق فى الفنجان . .

- أيوه . .

- الرجالة اتجننت ولاّ الستات هى اللى جننت الرجالة . .

وأنت عاوزه تقولى له إيه . ؟!!

- أنت قولى لى . .

- أنت بتحبيه ؟

- يعنى . .

- يعنى إيه . . بتحبيه والا مش بتحبيه ؟!!

- بأحبه . .

- لكن أنت متجوزة .

- ومش متجوزة .

- يعنى إيه . .

- أهوه يا كاترين ما تحركيش المواجع . .

- يعنى إيه . .

- يعنى جوزى مريض مشلول من عشرين سنة . .

- لكن هوه موافق . . جوزك موافق على الطلاق . .

- مضبوط . .

- هوه حيكلمك . . بكره . . بعد بكره . . وحيطلقك علشان تتجوزى اللى أنت عاوزاه . . وأنت مسافرة أمريكا علشان كده . .

- . . . . . . (تبكى)

وتخرج

وتظهر الخادمة وتنادى : مدام صفاء . .

وتسلم على كاترين . . وتخرج الفنجان من شنطتها .

صفاء : أنا شربت القهوة بعد الأذان . . وقلت فى الفنجان كل

اللى فى نفسى . . زى أنت ما قلت لى بالضبط . .

وتسلمها الفنجان . .

وكاترين تقرأ : الحرف الأول من اسمه . . الف . . أنيس . . أمير . .

– أيوه أمير .

– كان متجوز .

– أيوه وعنده أولاد . .

– هوه قال لك أنه عاوز يتجوزك ؟

– أيوه . .

– لكن قال ده لواحدة ثانية .

– قال لها أنه حيتجوزها . .

– لكن إحنا حددنا موعد الزواج . .

– وغير الموعد . .

– ده ثالث مرة . . ومش هو اللى غير المعاد أنا اللى غيرته . . مرة علشان كنت عيانة ومرة علشان ماما تعبانة . . ومرة علشان جدتى ماتت . . لكن هوه موافق . .

– الفنجان بيقول مفيش جواز . .

– إزاى شوفى كويس يا كاترين أنت مستعجلة . . شوفى كويس . .

وتخرج كاترين عدسة مكبرة من جيبها وتقرأ الفنجان . .

وتقول لها : أنت اتخانقت معاه . .

- أيوه . .

- أنت قلت أنك مش عاوزه تتجوزيه .

- أيوه . . لكن من زمان . .

- علشان كده هوه راح لواحدة ثانية . .

- واحدة ثانية . . مين . .

- واحدة ثانية اسمها فيه حرف تاء . .

- تاء . . تاء . . تهانى . . مش معقول . . دى قدامه البنت الروسية ناتنيانا . . دى سافرت من سنتين وهو مش عارف راحت فين . . بس شوفى كويس يا كاترين . .

- بس كده النهاردة . .

- واحدة ثانية دانا أقتله والله العظيم أقتله . . دى حكاية بقى لنا فيها خمس سنين دلوقت . . اللى نقوله نعيده واللى نعيده نزيده . .

كاترين : تعالى يوم الجمعة بعد الصلاة على طول . . وتشربى القهوة هنا . .

* * *

أمير الشناوى يكلم كاترين فى التليفون ويقول لها : طابخة إيه يا كاترين . . قلقاس . . جميل جداً . . لا بلاش لحمة . . وبلاش سمك . . أجيب لك إيه . . حاضر . . حاضر . . والله زمان . . الشاعر بيقول ما الحب إلا للحبيب الأول . .

يعنى يا كاترين . . لو كنا . . ياالله كل شىء نصيب . . نعم . . أوكى . . لا مش حتأخر . . أنت عارفة . . لا . . مش عاوز حد . . أنا وأنت وبس . .

يظهر أمير الشناوى فى ملابس رياضى . . ويضرب الجرس وتفتح له كاترين الباب وقد ارتدت فستانا عاريا . . ويبدو فى غاية الجمال . .

ولا يكاد يراها أمير الشناوى حتى يضحك ويقول : أنا كنت فاكر إنك حتبقى لابسه زى الرهبان لو عرفت إنك بالجمال والأناقة دى كنت لبست بدلة تليق بالمقام . .

ويتعانقان ويقبلها فى خديها وفى رقبتها . . وتبدو شقة كاترين مختلفة تماماً . . فى غاية الأناقة . . ويظهر الورد . . وزجاجات الشراب وتسمع الموسيقى وتبدو كاترين فى غاية الرقة وتقول : أهلاً يا أمير . . وحشتنى . .

أمير : أهلاً يا كاترين . . والله زمان . . زمان . . عمرى ما حسيت بالراحة والأمان إلا هنا . . معاك أنت . . وأنت عارفة كده . . طيب لسه يا كاترين . .

كاترين : اسمع يا أمير . . بلاش الحكاية دى . . كل شىء انتهى . . ما تنساش أن امرأتك كانت صاحبتى وكانت بنت خالتى . . خلاص . . كل واحد أخد نصيبه . .

– لكن أنت نصيبى يا كاترين . .

– طول عمرك كذاب . . لكن جذاب . . أنت كذاب يا أمير . .



- كذبت عليك . .

- مش كثير . .

- ولا كذبة واحدة . .

- أنا عارفة لكن بتكذب على ناس كثير . .

- زى مين ؟

- أوه . . مين ولا مين .

- آه . . همه بيجوا هنا . . مين يا كاترين . .

- مين ؟ لا . . دى أسرار . .

- بيننا أسرار .

- أيوه دى أسرار . . بس ممكن أقول مين . .

- كام واحدة . .

- مش حأقول . . أنت ازيك . .

- كويس . . معايا فنجان . .

- لا . . أنا عندى لك مفاجأة . .

- مفاجأة ؟!

- أنت تعرف أنا بأعرف شويه فى السحر . .

- سحر إيه يا كاترين . . أنت جرى لك إيه . .

- سحر علشانك . .

- ضد مين ؟

- ضد كتير . . والكتير دول بيعملوا لك سحر . . مين . .

- مين ؟ لا مش حاقول . . لكن أنا عرفت . . وعلشان كده . . تاخد الحجاب ده وتخليه فى جيبك باستمرار . .

وتعطيه حجابًا أحمر . . وتضعه هى فى جيبه وتغرسه بدبوس ويصرخ . . ويضحكان وينهض ويعانق كاترين ويقبلها . .

كاترين : خلاص مش حتقعد معايا . . أنا محضرة لك كل الحاجات اللى أنت بتحبها . .

- لكن أنت شغلتينى جداً . . إيه حكاية الحجاب ده . .

- أنت محتاج له . . أنا متأكدة . .

- أتجوز ولا لأ . .

- لأ . .

- لكن . .

- أنا عارفة إنك وعدت كم واحدة . . أنا عارفة . .

- زى مين ؟

- أنت قول الاسم .

- دولت الشربينى .

- أيوه . .

- أنا عملت لها حجاب علشان تتجوز .

- مين .

- واحد تانى . .

- غيرى .

- أيوه . .

- إزاى . . أنا اتفقت معاها . .

- لكن هى اتفقت مع واحد تانى . .

- إمتى ؟

- الأسبوع اللى فات . .

- يوم ما اتفقت معاها .

- أيوه . .

- ومين غيرها . .

- قول أنت .

- صفاء .

- أيوه . .

- كمان صفاء يا نهار أسود الواحد يصدق مين ويكذب مين . . حتى صفاء . . إيه اللى عملته علشان صفاء وأخوها العيان وأمها . . وابن خالها اللى بيشتغل معايا فى المكتب . . حتى صفاء . . والكلام اللى قالته . . والدموع والآهات يا نهار أسود . . والجوابات والكاستات والصور والأفلام والدموع . . والصويت فى التليفون والانتحار . . ثلاث مرات . . كل ده كذب . . كل ده كذب . . يبقى الصدق شكله إزاى . . قولى لى شكله إزاى ياكاترين . .

كاترين : الصدق شكله زى كده . . زيى !

- والله أنت رايقة يا كاترين . . ما هو أنت كمان ألعن من كل دول . .

ويظهر الإعياء على وجه أمير . . وينحى الأكواب التى أمامه . . وتنهض كاترين . . وتقترب منه وتقبله فى رأسه وفى وجهه . . وتمسح عرقه ودموعه . .

وتقول له : علشان كده عملت لك الحجاب ده . . علشان تفوق . . وعلشان تشوف الستات فى شكلها الحقيقى . .

- هوه أنا عارف فين الحقيقة وفين الكذب . . الكذب زى الصدق . . والصدق زى الكذب . . وصفاء دى إيه حكايتها . .

- مش مهم صفاء .

- أمال مين المهم .

- واحدة تانية فى اسمها حرف تاء . .

- زفتة الطين دولت . .

وتخرج كاترين فنجان قهوة من أحد الأدراج . . وتقول له : ده فنجانك بتاع المرة اللى فاتت . . أنت خرجت زعلان وما رضتش تسمع منى ولا كلمة . . دلوقت أقدر أقول لك . .

لا يزال غاضباً قلقاً متضايقاً وتقترب منه كاترين وتقول : مش عاوز تسمعنى . .

لا يرد . .

- اسمعنى . . دى آخر مرة . .

- يعنى آخر مرة . .

- اسمعنى وبس . .

- عندك لسه كلام يا كاترين ؟

- عندى .

- إيه يا كاترين . . دماغى حتنفجر . . دماغى يا كاترين . . عندك أسبرين . .

- أيوه . .

وتقدم له كأسا من الخمر . . ويشرب الكأس مرة واحدة وتقدم له سيجارة . .

ويندهش ويقول لها : وكمان عرفتى أننى رجعت للتدخين . . هوه مفيش حاجة ما تعرفيهاش يا كاترين . . أولاد الكلب بيقولوا لك كل أخبارى . .

- اسمع يا أمير . .

- حرف التاء برضه .

- أيوه . .

- مين يعنى ؟

- الحبيب الأول . .

- كاترين .

- لا . . حرف التاء فى أول الاسم مش وسطه . .

- مين ؟

- اللى جايه من بعيد خالص . . جايه تعيش فى مصر . .

- مين ؟

- طويلة شقراء زرقاء العينين جميلة الصوت . .

- مين ؟

- الله يخليك يا كاترين . . أنا ما عنديش استعداد لصدمات . . أنا تعبت والله يا كاترين ولا قادر أشتغل . . ولا قادر أنام . . فى عرضك قولى لى وريحينى . . مين ؟

- تانيانا .

- إيه . . انت بتقولى إيه . . دى سافرت من كام سنة . . انتهت . . بلعتها الأرض . . مالها .

- راجعة .

- وبعدين ؟

- راجعة لك .

- ليه . . هيه مش كانت بتحب واحد زيها . .

- أبداً . .

- وأنت عرفتى منين . .

- بعتت لى جوابات كثيرة كلها بتسلم عليك وتموت فيك وعندها استعداد تشتغل خدامة . .

- فى عرضك بلاش الكلام ده . . كلهم بيقولوا كده . . كلهم كذابين غشاشين . . كلهم مزيفين . . مزورين . . فى عرضك . .

- دى مش بتكذب .

- سابتنى ليه .

- أنت اللى سبتها يوم عيد ميلادها . .

- أيوه صحيح . لكن هيه ما قالتش الكلام ده . .

- أنت ما ادتهاش فرصة .

- هوه أنا دايماً متهم من الجميع . . كلهم أبرياء وأنا اللى مجرم . . كلهم صادقين وأنا اللى كذاب . . الله يخرب بيوتهم وبيت اللى يعرف واحدة ست بعد كده . . أعوذ بالله . .

- بعد تانيانا . .

- مش فاهم يا كاترين أنت النهاردة كل كلامك ألغاز . .

- أنا بأخطب لك تانيانا . .

- أنت ؟

- على مسئوليتى .

- أنت عارفة عيب تانيانا . . بتشرب بدينها .

- بطلت !

- ليه ؟

- عندها الكبد . .

- وعارفة عيبها إيه . .

- إيه . .

- عاوزه تشتغل معايا فى المكتب .

- مهندسة زيك . . وبتعرف عربى زى العفريتة . .

- وعيبها إيه كمان .

- عاوزه عيال . . وأنا مش عاوز . .

- خلاص مفيش عيال .

- يعنى إيه .

- استأصلت الرحم . .

- الله . . انتو متفقين ؟

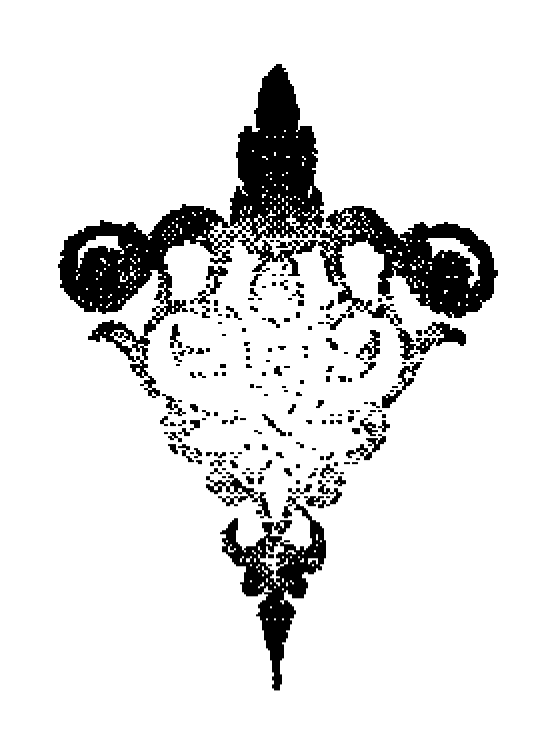
- أيوه . .

وينهار على الأرض . .

* * *

ويظهر د . صلاح نور الدين ويهز رأسه ويقلب فى فنجان القهوة الذى أمامه . . ثم ينهض ويغسله ويرتدى ملابسه ويخرج كما هى العادة . . ثم يعود إلى مقعده الدوار . . وينظر إلى الفنجان . . ويرى صورا وأشكالا من الناس . . ثم يضحك . . ويعيد الفنجان إلى مكانه . .

ويخرج . . . . . .





الدكتور فى عيادته .. يقلب فى الملفات ويقول : غلطتى أنا ..

ثم يقلب فى ملف آخر : غلطة زوجته ..

ويقلب فى ملف ثالث : كان لابد أن أصارحه .. سواء كانت المصارحة بالتدريج أو مرة واحدة .. صدمة .. لابد أن أكون صريحاً .. بس هوه أول واحد ينهار من الصدمة ..

ثم يقلب فى بعض الصور .. ويقربها من عينيه .. ويقول : أنا تعبت معاك ولكن النهاية محتومة .. لابد من المستشفى حتى الموت .. طبعاً حتى الموت فليس لك علاج ..

ثم يغطى وجهه بيديه ويدور فى مقعده ويدور ..

* * *

خمسة من الرجال الأصدقاء ..

ويلتفت واحد ويقول : قول لى يا عرفان وانتهت على إيه ؟

- مفيش حاجه بتنتهى .

- حترجع تانى لحكاية لا شىء ينتهى .. وكل ما يحدث فى الطفولة يمتد إلى الرجولة .. كلامك ده معناه أن الإنسان ليست له إرادة .. يعنى مثلاً أنا لا آكل اللحم .. والسبب أننى وجدت الدم يخرج كالنافورات من عنق خروف .. أنا أعرف سبب امتناعى عن الطعام .. ولذلك لا أذوق اللحم .. وشعرت بالخجل من

نفسى . . ولذلك حاولت أن أذوق اللحم . . وأكلت فترة ثم انقطعت لأ ننى لم أجد لها أى طعم .

– ولكن امتنعت نهائياً . . بل إنك عندما ذقت اللحم كنت رافضاً . . وكان ذلك من باب الاستطلاع . . فالطفل فى داخلك لا يزال يرفض ويتحكم الطفل الصغير فى الرجل الكبير . .

ويتكلم واحد آخر : مش خلصنا من الحكاية دى . . ولا لسه فيها كلام . . عاوزين ندخل فى الموضوع . . أمال أنت جايبنا هنا ليه يا عرفان . .

تدخل الخادمة وقد أحضرت الشاى . .

واحد يقول لعرفان : قل لنا الموضوع بوضوح . . وإحنا كلنا نتناقش مع بعض . . آه من حق . . مش رحت للدكتور صلاح نور الدين . . قال لك إيه . . أهو ده دكتور ممتاز . . قال لك إيه . .

– الله . . أنت ناسى إنى أنا دارس علم نفس . .

– آه دارس لكن مش ممارس . .

– ممارس فى كل حياتى . .

– لكن مش متخصص . . ما علينا . . قال لك إيه . .

فتحى يقول : أنا أقول لك قال إيه . . قال أنت عندك شلل . . شلل فى إرادتك غير قادر على أن تتخذ أى قرار . . لأ نك محتار حيرة الفار فى المصيدة هاها . . هاها . .

واحد يقول : جرى لك إيه يا فتحى ما تخليه هوه اللى يقول . . هوه عارف أكثر . وعارف أدق . . قول يا عرفان . .

عرفان : كلامه إلى حد كبير مضبوط . .

فتحى : آهه قال لك . . اسكت أنت بقى .

عرفان : أنتم تعرفون أننى أحب زوجتى .

فتحى : جديدة دى .

أنور : بلاش تهريج . . وبعدين يا عرفان . .

عرفان : لكن حدث ما يحدث بين الأزواج . . خصوصاً إذا كان الزواج طويلاً وكانت الزوجة عصبية جداً . . الزواج الطويل يقتل المشاعر . . والزوجة العصبية لا تغفر أى غلطة تافهة . . لا لأن الغلطة التافهة لها أثر هام فى حياتنا . . ولكن لأنها لا تسكت عن أتفه غلطة . ليست غلطتى أنا وبس . . غلطة الخدامين والسواق والسفرجى . . لا تسكت عن أى غلط . . إنها مشكلة فتحى . . مراتك طول الوقت تزعق وتشتكى لكل الناس من أولادك ومنك ومن الخدامين ومن الست أخته . . صح .

فتحى : ألف صح وصح . .

عرفان : فأحببت واحدة ثانية . . ما حدش يسألنى إزاى ده حصل . . أهو ده اللى حصل . .

فتحى : والواحدة متزوجة وعندها أولاد . .

عرفان : وتعبت هنا وهناك . . فى البيت وخارج البيت . . واللى بأحبها عصبية جداً . . يعنى أنا فى النار . . النار فى البيت والنار خارج البيت . . ومش عارف أطفى نار الغيرة ولا نار الحب . .

أنور : كويس لحد كده وبعدين . .

عرفان : وبعدين رحت للدكتور صلاح .

- قال لك إيه ؟

- أنت عارف .

- والله ما أعرف أنت بتاع علم نفس وهو دكتور . . قال له إيه . .

عرفان : لابد من نهاية .

- يعنى إيه .

- اسأله أنت . .

- قال إيه . . فهمنى . . قال لك بوضوح تعمل إيه . . لأننى إن شاء الله حاروح له قريب جداً . .

عرفان : أنت كمان .

أنور : اتنيلت !

عرفان : طبيت .

أنور : إنى أغرق . . أغرق .

عرفان : كلام كثير قاله الدكتور صلاح . .

فتحى : حتقول والا أقول أنا . .

عرفان : قول أنت . .

فتحى : قال له إياك تتجوز اللى أنت بتحبها . . لأنها سوف تكون أسوأ من زوجته . . ثم إنها مجنونة . . من الممكن تلاقيها عندك فى البيت . . ومن الممكن أن تتفق مع زوجتك عليك . .

لأن التى تحبها لم تحصل على ما تريد ولأن الزوجة خسرت كل اللى كان عندها . . تمام كده .

عرفان : تمام كده . . ما أنت عارف كل حاجة . . أنا قلت لك كل شىء أول بأول .

أنور وحسين وهاشم : أمّال إحنا هنا ليه . . إيه الحكاية ؟

عرفان : إذا كنتم زهقتم يبقى بلاش النهارده . . نتقابل وقت تانى . .

– إحنا مش رايقين زيك كده يا حبيبى . . أنت راجل رايق وبتحب . . عاوز يطلق وعاوز يتجوز . . ولا عاوز تجوز ومن غير طلاق . . خد بالك لو مراتى عرفت إنى هنا حيركبها ألف عفريت . . لأنها معتقدة إنك رجل ذئب وأنك سوف تفسد أخلاقنا جميعا . . وهوه مفيش حاجة نشربها هنا غير الشاى ده . .

عرفان : هات لنفسك اللى أنت عاوزه . . أنا مش فاضى لك . . أنت عارف البيت كله . .

فتحى : أمّال الهانم فين .

عرفان : فى إسكندرية . . وجايه بكره . .

زوجة عرفان فى عيادة د . صلاح . يسألها الدكتور : والحكاية دى حصلت إمتى ؟

ميرفت كمال (زوجة عرفان) تقول له : الحكاية دى حصلت إمبارح وأول إمبارح والسنة اللى فاتت وبكره وبعده إن شاء الله . . أنا زهقت يا دكتور . .

الدكتور : بيشرب كتير .

- أحيانا لكن مش كتير .

الدكتور : آخر مرة كان بيقول إيه . .

ميرفت : كل مرة ينادى وهو نائم : بسرعة يا كاميليا . . بسرعة يا كاميليا . . قدامنا نصف ساعة . . بسرعة يا كاميليا . .

الدكتور : كاميليا مين ؟

- هو بيقول السكرتيرة !!

- والسكرتيرة اسمها كاميليا .

- أيوه . .

- وأنت بتشكى فى كاميليا ؟

- لا . . دى ست كبيرة . . لكن كل شىء جايز . . هوه بيحب كل الستات الكبيرة لأنه كان بيحب أمه الله يرحمها . .

- مش شرط . .

- لكن فى بعض الأحيان يقول لكاميليا كلام ما يتقالش للسكرتيرة .

- أى وقت فى الليل . . أول ما يدخل السرير . . ولا قبل ما يصحى من النوم . .

- أول ما يدخل السرير وقبل ما يسيب السرير .

- كل ده .

- كل يوم . .

- نفس الكلام .

- لا . . الكلام مختلف . . وأنا أعتقد أن هناك واحدة ثانية اسمها كاميليا . . وأنا سألت السكرتيرة وسألت السواق وسألت زملاءه فى العمل . . مفيش واحدة بالاسم ده . . ونحن لا ننفصل . . وإذا ذهب إلى مكان قال لى : هوه فين . . ويعطينى النمرة لكى أطلبه . . وأحيانا أنكسف أطلبه عمال على بطال . .

- وإيه اللى خلاه يديك أرقام تليفوناته فى كل مكان يذهب إليه ؟

- علشان أنا موسوسة . . وشكاكه . .

- لكن هل أنت قلت له إنه بيحلم بصوت عال أثناء النوم .

- لا . .

- لحد دلوقت . .

- طيب ليه ؟

- مش عاوزه أخرب بيتى يا دكتور . . هوه إنسان طيب وبيدينى كل اللى أطلبه . . وعندنا أولاد كويسين . . وحياتنا هادئة . .

- وأنت تعبانة .

- جدا . ما رأيك ؟

- . . . .

يفكر ويدور فى مقعده . .

* * *

عرفان فى بيت فتحى وزوجته . ويغمز فتحى لزوجته هداية لتبدأ هى الكلام مع عرفان : وأنت حتخرج من المطب الجديد إزاى . .

عرفان : لا قادر أخرج من القديم . . ولا عارف أخرج من الجديد . . والاسم عرفان . . أنا مش عارف حاجة أبداً . .

هداية : بس أنت اللى شجعتها .

عرفان : أنا . . أبداً والله .

هداية : أمال إيه اللى حصل ؟

عرفان : أنت عارفة إن هدى زى أختى . . كانت ساكنة قدامنا وإحنا تلامذة فى الجامعة . . وفيه ناس كتير كانوا فاكرين إن احنا بنحب بعض . . وبمنتهى الصدق حاولت . . ولكن كان شعورى دايماً أنها أختى . . أو زى أختى . . أنت عارفة الشعور ده . .

فتحى : أيوه هى عارفة إسألنى أنا عن الشعور ده . .

هداية : فتحى . . بلاش من فضلك . .

فتحى : بلاش إيه . . ما هو عارف إنك كنت مخطوبة لابن عمتك . . وسبتيه لأنه زى أخوك . . وإن كان ابن عمتك لسه بيحاول . .

هداية : كفاية يا شوقى . . خللى الليلة تفوت على خير . .

فتحى : سامع يا حبيبى تهديدات الست . . علشان تعذرنى . . سامع ! وتقولوا لى استحمل . . أستحمل إيه ولا إيه . .

هداية : جرى لك إيه ؟ أنت عاوز إيه دلوقت . . أسيب لك

البيت . . والله العظيم لو خرجت دلوقت مش حارجع أبداً . .

عرفان : إيه يا جماعة . . الله . . إيه ده . . خليتكم بعافية . . تصبحوا على خير . .

فتحى : اقعد . . دى حاجة عادية . .

هداية : دى عادية . . إحنا كل يوم كده . .

فتحى : وإيه يعنى راجل ومراته بيتخانقوا . . فيها إيه دى . .

عرفان : خدوا راحتكم . . بس ما حدش يطلب منى إنى أحضر فى أية ساعة من ساعات الليل . . أنا حاخد حبة منومة وأرفع سماعة التليفون . .

فتحى : يا راجل اقعد . ما يهمكش . . اقعد بس قل لنا إيه المصيبة الجديدة . .

عرفان : المصيبة الجديدة عندك أنت . . سيبنى أروح أنا غلطان اللى جيت . .

- . . . .

* * *

فى اليوم التالى يذهب فتحى وهداية إلى شقة عرفان . . يرن الجرس تفتح ميرفت زوجة عرفان : أهلاً وسهلاً . . اتأخرتم ليه .

هداية : الشوارع مزدحمة . . الناس كلها خرجت للشوارع مفيش حد فى البيت إلا أنا وأنت . .

ميرفت : خطوة عزيزة . .

هداية : عندك ضيوف .

ميرفت : لأ دى كاميليا بنت خالتى كانت فى باريس ورجعت إمبارح . . وبتحكى حكايات عن خطوط الموضة لحد ما جننتنى . . تعالى انت كمان تجننى وجننى فتحى جوزك . .

هداية : شوقى مش ناقص جنان يا حبيبتى !

ونظرت هداية وميرفت إلى عرفان وفتحى اللذين اتجها بعيدا إلى البلكونة . .

فتحى : مالك ؟

عرفان : أنت مش شايف .

– شايف إيه .

– يا أعمى مش شايف .

– لا . . إيه . .

– ما هى دى المصيبة الجديدة . .

– مين ؟

– كاميليا . .

– كاميليا مين ؟

– بنت خالة مراتى . .

– ما لها . . حبك الجديد !

عرفان : مش حبى . . أنا اللى الحب الجديد . .

– مش فاهم .

– حكيت لها حكايتى . . ولقيتها بتحبنى وتطاردنى فى كل مكان وتضرب لى تليفون من باريس بالساعة والساعتين . . لحد ما خلصت فلوسها على التليفونات رجعت . .

- عاوزه إيه ؟

- اللى بيحبوا عاوزين إيه ؟

- عاوزين يحبوا . .

- وبعد ما يحبوا .

- يحبوا برضه . .

- وبعد ما يحبوا .

- يتجوزوا . .

- وأنا أعملها إزاى . . أنا متجوز . . وبأحب واحدة عاوزة تتجوزنى . . أو أتجوزها . . ودى بتحبنى وعاوزانى أتجوزها مع بنت خالتها . . أو أتجوزها لوحدها . . عندك حل !

- لا . .

- وكنت عاوزنى أحكى لمراتك الحكاية دى . . وعاوز مراتك تدخلنى بيتها بعد كده . .

- أنا ما كنتش عارف !

- أديك عرفت !

وتنادى ميرفت وهداية عليهما . . وواضح من نظرات كاميليا أنها عاشقة ولهانة . . ولكن عرفان يتفادى نظراتها . . وينسحب وحده فى البلكونة . .

عندما يظهر د . صلاح فى مقعده . . وهناك يتمدد عرفان على المقعد الطويل وإلى جواره جهاز تسجيل ويقول وهو نائم أو كالنائم : بسرعة يا كاميليا . . ارجعى . . أنا فى انتظارك . . بس . . عاوز

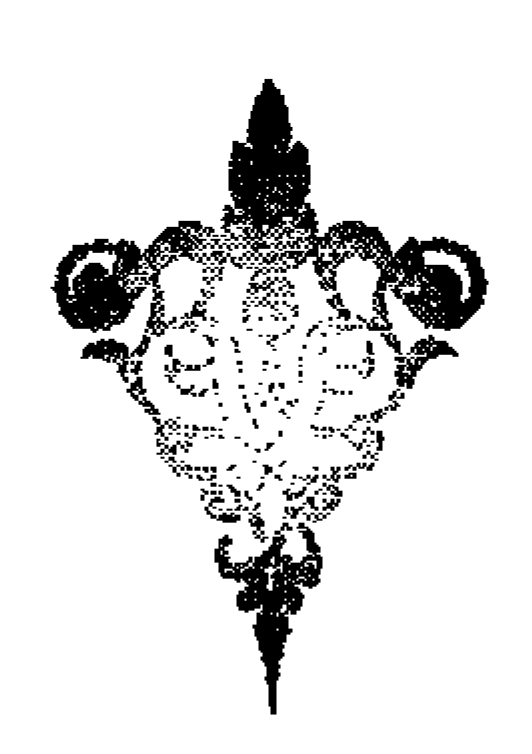
أقول لك المصيبة اللى أنا واقع فيها . . مفيش قدامى غير حل واحد . . أنت عارفاه . . مفيش غير الحل ده . . زى ما قلت لك فى التليفون . . أموت نفسى . . واستريح منك ومنها . . ومن نفسى . . ومن نظرات أصحابى وزوجاتهم . .

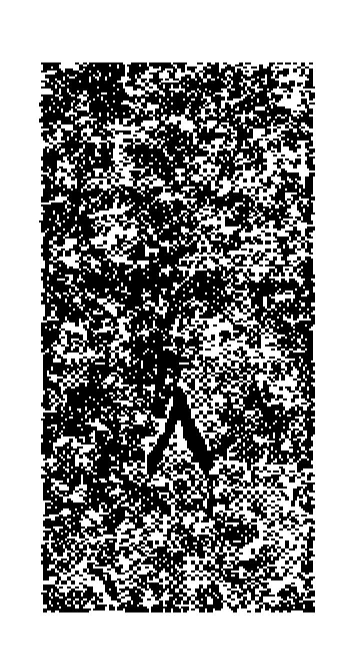
ويهز د . صلاح رأسه ويبدو عليه اليأس . ويقول : كل الناس عاوزة حلول سريعة قاطعة . . إزاى . . إزاى . . إزاى . .

ويدور فى مقعده . .

ويرتدى ملابسه . .

ويعود إلى البيت . .





الدكتور صلاح نور الدين فى عيادته . . يقلب فى الملفات . .

عندما يدق الباب الخارجى . . ويندهش الدكتور . . ثم يتردد فى أن يفتح الباب . . وينظر إلى الساعة كأنه ليس على يقين من أن أحداً يدق الجرس . . وأخيراً يتأكد من ذلك . .

ويكون ضابط بوليس . . ويندهش الطبيب . . ثم يستأذن الضابط فى الدخول . .

ويدخل . ويجلس دون أن يأذن له . ويجلس الطبيب على مقعده ويتجه إلى الضابط .

الضابط : أنا الرائد أحمد فتحى عبد الحميد . .

- أهلاً وسهلاً . .

- أى خدمة . .

- فعلا أنا جاى علشان كده . .

- تحت أمرك . .

- هيه حاجة بسيطة . . كلمتين من سيادتك . .

- عن إيه ؟

- سيادتك عارف السيدة أنعام الوكيل .

- أيوه .

- هيه مشكلتها إيه ؟

- ده مش سؤال يا حضرة .

- الرائد أحمد فتحى . . معلومات عامة فقط . .

- أنت عارف إنى دكتور . . ودى أسرار . . لا يمكن أن أقول لك . .

- ولا فى المباحث .

- ولا فى أى مكان . . طبيعة عملك تسأل . . وطبيعة عملى أن أحمى أسرار ضيوفى . .

- حتى لو كانوا مجرمين . .

- ليس من شأنى . . هنا لا أحد يرتكب جريمة .

- هنا يمكن أن تشجع على الجريمة .

- أنا لا أسمح لك . .

- يعنى إيه . .

- يعنى تخرج فوراً . .

- سيادتك عارف أنا بأشتغل إيه .

- أعرف . . لكن ليس لك عمل هنا . .

- إذن أنا آسف يا دكتور لكن عندما تعرف ماذا حدث سوف تعذرنى . .

- لا أريد أن أعرف . .

- لا تريد أن تعرف ماذا فعلته إحدى المريضات التى خرجت من هنا وارتكبت جريمة . .

- لا أعرف . .

- كيــف لا تعرف نهاية العلاج هنا ؟ كيف لا تريد أن تعرف ما الذى أسفرت عنه المناقشات هنا . . ونصائحك . . لابد أنها نصيحتك . . إنها جريمة قتل يا دكتور . . جريمة . . هل هذا الكلام لا يهز مشاعرك . .

ينهض الدكتور ويتجه إلى الباب الخارجى ويفتحه وينحنى ويطلب إلى الضابط أن يخرج . . ولا يريد أن يسمع منه كلمة واحدة . .

ويخرج الضابط . .

ويعود الطبيب إلى مقعده ويقلب فى الملفات والصور . . صور السيدة أنعام الوكيل . . صورتها مع أطفالها وزوجها . . وصورتها مع طفلة صغيرة تداعبها وترفعها إلى فوق . . وترفعها إلى فوق . .

ثم نرى السيدة أنعام الوكيل وقد جلست إلى زوجها الضابط حسن عبد الفتاح . . وحولها الأطفال فى حديقة الأسماك . . يلعبون ويضحكون . . وتلاحظ أنعام أن زوجها سرحان . .

أنعام : مالك ؟

حسن : ولا حاجة .

- فيه حاجة . . فى الشغل .

- أنت عارفة الشغل . . كل يوم شىء جديد . . أنت عارفة . .

- يعنى حاجة لها علاقة بالشغل .

- أيوه . .

- إحساسى بيقول حاجة ثانية خالص . . أراهن !

- بلاش حكاية إحساسك دى ؟

- مش إحساسى . . دى حاستى السادسة . . وانت عارف !

- (يضحك) عندك حاسة بوليسية مش موجودة عندى . . كأنك أنت اللى ضابط مباحث مش أنا .

- من عاشر القوم .

- أيوه . .

- إيه ؟ فيه إيه ؟

- الله وبعدين يا أنعام مفيش ، وبس !

- مفيش وبس ؟ لا فيه وبس . . وحتقول دلوقت حالا . . لأن إذا ما قلتش حتفضل مكشر كده على طول . . وأنت عارف إيه اللى حيحصل . . أنت تكشر وأنا أكشر . . وينقلب كل شىء غم . . وتضيع علينا الإجازة (وتقترب منه) قول أحسن . .

- . . . .

- قول بس . .

- بعدين .

- خلاص ما دمت قلت بعدين . . نأجل الكلام فى الموضوع . .

- شكراً .

- يا دمك التقيل .

- شكراً .

- العفو يا حبيبى . .

* * *

أنعام فى عيادة الدكتور صلاح نور الدين وقد تمددت على المقعد الطويل وإلى جوارها جهاز تسجيل . . والدكتور صلاح جالس إلى مكتبه يقلب فى الصور . .

أنعام : كانت أمى تعاملنى معاملة سيئة جدا . . بينما تعامل أختى الصغيرة أحسن وألطف . . وتشترى لها أحسن الفساتين . . فإذا عاتبتها كانت تقول لى : أنت شبه أبوك . . أهو غار فى ستين داهية . .

الدكتور : أبوك كان زوجها الأولانى ؟

- أيوه . .

- وهو راح فين .

- مات . .

- وبعدين . .

- (تبكى بصوت مرتفع) . .

الدكتور : إيه اللى حصل ؟

- ضربتنى .

- ليه .

- علشان لقيتنى أحاول ألبس فساتين أختى الصغيرة . . الفساتين الصغيرة . . حاولت أن أدخل فى واحد منها انقطع . . دخلت أمى وأنا أحاول أن أخيط اللى انقطع . . ولقيتنى لابسه جزمتها . . ضربتنى وقفلت الباب بالمفتاح ومنعتنى أروح المدرسة وفى عيد ميلاد أختى . . قالت للضيوف إنى مريضة . .

مزكومة .. ونايمة علشان ما حدش يدخل لى .. وسمعت كل حاجة من خرم الباب .. الحفلة والموسيقى والرقص .. وفضلت أعيط طول الليل .. وفكرت أموت نفسى .. لكن حرام .. ربنا محرم إن الواحد يموت نفسه ..

الدكتور : وبعدين ؟

- (تبكى بصوت عالٍ) ..

ويطلب منها الدكتور أن تنهض وقبل أن تنهض قالت له : لسه عندى كلام .

- أنا عارف .

- كلام مهم جدا لأن الحكاية تكررت تانى يا دكتور .. هيه دى المشكلة ..

الدكتور : استريحى النهاردة .. خدى الحباية دى .. ولما تقومى من النوم اطلبينى وأنا أقول لك إمتى تيجى تانى ..

* * *

ويسمع الدكتور وهو جالس فى مقعده كالعادة دقات على الباب .. ثم ضغطاً على الجرس .. ويذهب الدكتور ليفتح الباب .. إنه نفس الضابط ..

ويدخل الضابط ويجلس على المقعد أمام الدكتور .

الضابط : اعذرنى يا دكتور إنى أحاول أن أؤدى واجبى .. وأنا لن أطلب إليك شيئا هذه المرة . ولكن أسألك .. بلاش أسألك .. أتناقش معاك .. فقط مناقشة بينى وبين سيادتك ..

وهى معلومات عامة كالتى تقولها سيادتك فى التليفزيون والملايين يسمعونها . . أولادى من أشد الناس إعجاباً بك . .

الدكتور يقلب فى الملفات والصور وقد استغرقته الصور كأنه لا يستمع للضابط . .

الضابط : ممكن يا دكتور .

- اتفضل .

- عاوز أسألك إيه اللى يخلى أى واحد يقتل نفسه .

- أسباب كثيرة . .

- إيه اللى يخلى واحد يقتل غيره .

- أسباب كثيرة . .

- يقتل كلباً مثلا ؟

- ممكن ؟

- يقتل حيواناً بلا أى سبب .

- لازم يكون هناك سبب .

- أنت تقدر تقتل طفلاً .

- لا . . .

- حتى لو كان الطفل يحاول قتلك ؟

- كيف يحاول قتلى ؟

- بمسدس .

- طفل عنده كم سنة .

- خمسة .

- عنده خمس سنوات ومعه مسدس . . ويحاول قتلى من الباب للطاق . . ويعرف يمسك مسدسه ويصوبه نحوى . . لازم أبوه ضابط مباحث ! ابنك عمل حاجة كدة ؟

- لا .

- ولا فى نيته . . ولو حدث ذلك يبقى بتشجيع منك . . فأنت عاوز تشوفه ضابط قد الدنيا . .

- وهل أستطيع أن أشجع الطفل على قتل والده . . أو أى طفل آخر . .

- يجوز . .

- أنا منظر قاتل .

- القاتل لا يبدو عليه . . لأن قرار القتل داخلى . .

- كم من الوقت يستغرق قرار القتل . . يعنى لو فرضنا إن واحد أى واحد قرر أن يرتكب جريمة قتل ياخد أد إيه وقت . .

- (ضاحكا) هوه وشطارته . .

- وشطارته هو ولا شطارة الدكتور .

- بس . . من فضلك !

- أرجوك تقدر موقفى . . إن واحدة من مرضاك قتلت طفلاً . . عامدة متعمدة . . ليس هذا بالأمر السهل يا دكتور .

- أرجوك . . اتفضل . . اخرج من هنا !

ويقف الدكتور ويشير إلى الباب الخارجى . .

ويخرج الضابط ويعود الدكتور إلى مقعده وإلى الملفات وصور أنعام . .

وتتمدد أنعام على المقعد الطويل وتقول له : أكمل يا دكتور . .

- اتفضلى . . أنا كنت قلت لك . . إن الحكاية تتكرر الآن بصورة تضايقنى جداً . . زوجى كانت له زوجة قبل كده . . وماتت وتركت له بنت . . البنت حلوة . . وأنا بأحبها . . وأنا وعدت زوجى بأنى حاكون أم لها . . وأحسن من الأم . .

- وبعدين ؟

- نفس المشكلة . . زوجى يحب البنت دى أكثر من حبه لبنتى أنا . . وكثير جداً . . لا أجده فى السرير . . ولما أبحث عنه ألاقيه نام فى أوضة البنت وأخوها فى حضنه . . بنته هو . . وسايب بنتى أنا . . بنتى بدأت تتضايق وتعيط . . وأنا كمان . . لكن مفيش فايدة . .

- مفيش فايدة فى إيه ؟

- طلبت إليه كتير أن يعدل بين البنتين . . وحكيت له حكايتى مع أمى . . (وتبكى) .

- كملى .

- (تبكى) والله أنا مش عاوزاها تموت . . والله أبداً . . ولكن غصب عنى لقتنى بلف يدى حول رقبتها . . ولما البنت تصرخ أتراجع . . والله غصب عنى . . والله مش عاوزاها تموت . .

حـرام . . ولكن بأفـتكر كل اللى حـصل لى . . ولابد أن بنتى حـتكون زيى أنا . . ويجـوز تقـتل أختـهـا دى . . ممكن جـداً . . (تبكى) المصيبة يا دكتور أننى كنت أداعبها . . لا أفعل ذلك إلا فى البلكونة . . وأنا عـارفـة إنهـا يمكن تقع من إيدى فى الشـارع وتموت . . والله مش عاوزاها تموت . . غصب عنى يا دكتور غصب عنى . . (تبكى) .

ويشـيـر إليـهـا الدكـتـور أن تنهض وتنهض وتقـول : أكلمك فى التليفون . .

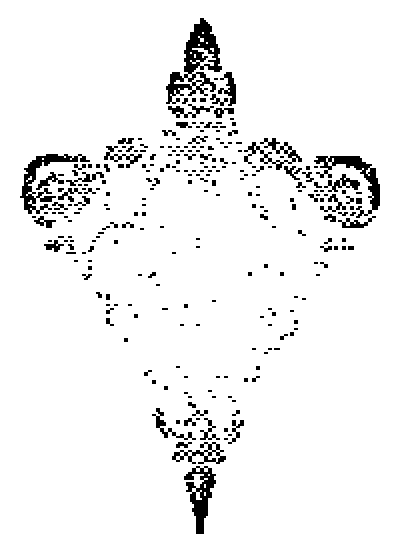
- . . . .

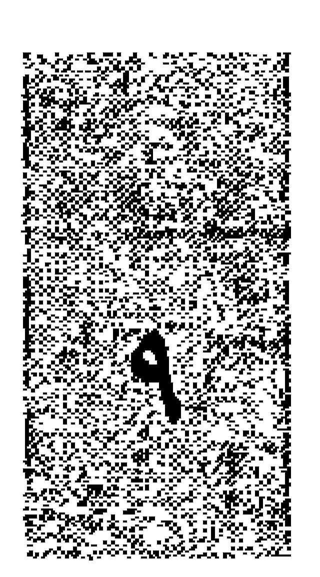
- آخد حبايه وأنام . . وبكره ؟!

- . . . .

وتخـرج . ويجلس الدكـتـور يهـز رأسـه أسـفـاً . . ويقلب فى الملفـات . . وينهض من مـقـعـده وعندمـا يقـترب من البـاب يدق الجرس فيفتح الباب ويجلس على مقعده . . ويدخل الضابط ومعه زوج أنعام وأختها وأبوها وأطفال صغار . .

ويتـجـه الطبـيـب إلى جـهـاز التـسـجـيل ويديره . . ويخـفـت الصوت . . وتختـفى صورة الدكتور ويتـجه كالعادة إلى الباب . . إلى الشارع عائداً إلى بيته .





الدكتور فى العيادة على مقعده وأمامه الملفات ويقلب ويضحك ويهز رأسه . .

ويدق الجرس . يدخل الدكتور أسامة النحاس .

يبدو السرور على وجه د . صلاح : أهلا يا أسامة .

- أهلاً يا صلاح . .

- إيه . .

- أنت عارف . .

- مش عارف . .

- اسمع أنت إيه رأيك فى الدكتور جعفر .

- جعفر مين ؟

- جعفر رجب .

- ممتاز .

- تصدقه .

- ١٠٠٪ .

- طيب الدكتور جعفر من رأيه .

- عارف رأيه .

- إذن .

- الحكاية دى بقى لها قد إيه .

- عشر سنين .

- وأنت إيه اللى فكرك بيها دلوقت .

- أخويا .

- أخوك مين !

- أخويا سمير النحاس . زاره فى المستشفى . وأنا عاوزك تشوفه بنفسك وتسمع وأنا مش حاقول إنك دكتور . . وإنما واحد صاحبى جه يزور واحدة قريبته .

- لا مانع .

- إمتى . .

- بكرة .

* * *

فى مستشفى الأمراض العقلية جلس المريض مختار أبو النور فى الحديقة . . ويقترب منه د . جعفر رجب ود . أسامة النحاس وأخوه الصحفى سمير النحاس . . وأمامهم جهاز تسجيل . .

يقترب سمير النحاس ويخاطب المريض : أنا جئت فى نفس الموعد يا سيادة الدكتور . . ومعايا جهاز تسجيل زى ما اتفقنا . .

المريض : هاها . . همه الناس اللى بره محتاجين لكلام ناس مجانين . . ما بقاش عندكم ناس عقلاء والاّ إيه . . نكتة . . المجانين يحكمون عالم العقلاء . . نكتة . . وأنا كان بينى وبينك المجانين طلعوا أقوى وأحسن وأعقل . . بدليل أنهم استخدموا كل العقلاء لخدمة أغراضهم الحيوية : هتلر وستالين وموسوليني وقبل كده لينين وماوتسى تونج ونيرون وكاليجولا والحاكم بأمر الله . . مش كده والاّ إيه . . خلاص أنا واحد من هؤلاء . . اسألنى

يا أستاذ . . أنا جاهز . . اسألنى عن فيتنام عن أنجولا عن العراق عن إسرائيل عن فلسطين . . عن بوروندى أنا جاهز . . بس إذا لقيت معلوماتى غلط . . فدى معلوماتكم . . وناقل الكفر ليس بكافر . . ولا ناقل الكفر كافر . . اللى تحسبوه . . أنا راجل مجنون وليس على المجنون حرج . . اسأل يا سيدى . .

سمير : عمرك كم سنة ؟

- أنا ماليش عمر . . أنا راجل فنان . . والفنان له شهادة ميلاد لكن ما لوش تصريح بالدفن . . حلوة دى . . طبعاً حلوة .

- وظيفتك ؟

- مجنون قطاع خاص . . هاها . . لأن الناس اللى ذكرت لك أسماءهم دول مجانين رسمى . . قطاع عام يعنى . .

- أنت جيت هنا إزاى ؟

- أقول لك ولا تضحكش . .

- اتفضل .

- السبب بسيط جداً . . أنا بأقول الناس كلها مجانين . . وهمه بيقولوا أننى لوحدى مجنون . وعلشان همه أقوى منى جابونى هنا ، وعلشان أنا أضعف منهم ما قدرتش عليهم . . كويسة دى . .

- تقضى وقتك إزاى ؟

- فى الضحك والفرفشة . . كل ما أقرأ الجرايد يتأكد لى أن الناس بره مجانين . . والله مجانين . . إحنا هنا أحسن كتير . . لا مظاهرات ولا اهتمامات ولا قرارات . . ولا قيود ولا سدود كل

شيء مباح هنا . . يعنى أنا لو مشيت فى الشارع على إيدى يقولوا ده مجنون ويجيبونى هنا . . لكن لو مشيت أنا هنا على إيدى ما حدش يقول حاجة . . طبيعى أنا أمشى على إيدى . . مجنون . .

- مين قال إنك مجنون ؟

- أنا .

- وأنت دخلت هنا إزاى .

- برجلى .

- يعنى إيه .

- قابلت الدكتور وقلت له أنا راجل مجنون . وبدل الناس ما يجرجرونى هنا دخلت برجلى . .

- وأنت كنت بتشتغل إيه .

- أكبر جراح فى البلد دى . .

- والدكاترة استقبلوك هنا إزاى ؟

- بعضهم كان تلميذى . . ما دام ده رأيى . . وأننى أعرف نفسى أكثر منهم . . وافقوا على طول . .

- وأولادك ؟

- دى حكاية تانية . . اتفقت مع مراتى . . وهيه ست عاقلة جداً . . إنها تقول لأولادى . . إننى أنا معتقل فى الواحات بسبب آرائى السياسية وأنه ممنوع الاتصال بى . . وهو كله سجن . . المعتقل مسجون رغم أنفه . . والمجنون معتقل باختياره . . وكله حبس على ذمة التحقيق . . أو حبس مطلق !

- واسمك ؟

- اخترت لى اسم غير اسمى . . اسمى هنا : أبو زيد الهلالى . . هاها . . هاها . . كفاية بقى النهارده . . أصلى أنا عاوز أتمشى . . أنت عارف إنى دكتور . . ولابد من الرياضة علشان لا أمرض جسميا بعد أن مرضت عقليا . .

- ولكن أنت مش مريض عقلياً . .

- مين اللى بيقول .

- أنا .

- وأنت دكتور ؟

- لا .

- طيب أنا بقى دكتور وأنا أعرف أكثر منك ! تفضلوا حضراتكم . . شكراً .

* * *

فى عيادة الدكتور صلاح . . توجد زوجة الدكتور وأخوها وأخوه . . والدكتور أسامة النحاس وأخوه سمير النحاس . .

الدكتور صلاح : أنا سمعت كل التسجيلات . . وأنتم طبعا عرفتم ليه أنا ما رحتش معاكم . . لأن الدكتور كان زميلى وإحنا بندرس فى أمريكا . . لكن سمعت كل التسجيلات . . طبعاً مش مجنون ولا علاقة له بالجنون . . وإنما ده رجل قاسى على نفسه . . هو حكم ونفذ الحكم . . منتهى القسوة . . وفى نفس الوقت رغبة عميقة فى الانتحار . . قولى لى يا دكتورة سوسن .

د . سوسن : أنا دكتورة سوسن الهلالى . .

- الهلالى ؟

- مش جوزى اسمه أبو زيد الهلالى . . هاها .

- هاها . .

- والله يا دكتور أنا تعبت معاه . . هوه مقتنع بأنه المسئول عن وفاة عدد من المرضى اللى أجرى لهم عمليات جراحية . . وأنه غلطان . . ونفرض أنه غلطان . . لكنه لم يتعمد ذلك . .

د . صلاح : إيه اللى خلاه يعتقد أنه تعمد ذلك .

سوسن : هوه مش تعمد . . هو أهمل . . بيقول أنه ذهب إلى غرفة العمليات وكان شبه سكران . . لأن قبلها بليلة كانت عندنا حفلة وشرب أكثر من اللازم ومن رأيه أن ده إهمال أدى إلى القتل . . فهو قاتل . . وأنه ده حدث أكثر من مرة . . حتى عندما ذهب الأستاذ سمير وسأله فى الموضوع أكد له أن القانون لا يعرف أنه أجرم . . ولكنه وحده الذى يعرف أنه مجرم وأنه قاتل وأنه يحب أن يعاقب نفسه على ذلك . .

د . صلاح : وأنت عملت إيه علشان تؤكدى أنه برىء . .

د . سوسن : قدمت له كل تقارير الأطباء الشرعيين . . وأثبتوا أن الوفاة عادية . . وأنه بذل أقصى ما يستطيع بشهادة الجراحين المساعدين له والممرضات . . برىء تماماً من القتل العمد . . أو حتى القتل الخطأ . .

- ولم يقتنع ؟

- أبداً . .

– هل حد من الدكاترة دول راح له المستشفى . .

– مفيش حد يعرف أنه فى المستشفى . . كل الناس عارفين أنه معتقل وخصوصاً أولادنا وهم طلبة فى كلية الطب . .

– وأمال أنتم عرفتم إزاى (متوجهاً إلى سمير النحاس) .

سمير النحاس : بالصدفة . . أنا بأعمل تحقيق عن مستشفيات الأمراض النفسية . . وجدته هناك . .

د . سوسن : عاوزاك تقنعه بالخروج . . وأنا حأحضر قدامك كل الشهادات . واللى نشرته الجرايد كلها . . لا جريمة . . وليس مسئولاً عن الوفاة . .

– مهمة صعبة جداً . . فأنا مبكلمش إنسان عادى . . أنا بأكلم دكتور غير عادى . . عاقل جداً . . وقادر على أن يقنعنى بأن أبقى إلى جواره فى المستشفى ولا أخرج لأنى أنا كمان تعبان . .

سمير النحاس : حلو قوى . . وادى موضوع صفحة أولى . . متى حتقرر يا دكتور !

– هه . . دا كل اللى يهمك .

– أيوه . .

– بالعند فيك مش داخل المستشفى هاها . . هاها . .

د . سوسن : آدى الملف كله وبالتواريخ والشهادات والتقارير والوثائق . . ويمكن فيه حاجة واحدة حتقنعه . .

– إيه . .

– فيه تقرير للدكتور جعفر رجب . . وهو من تلامذته ويؤمن بعبقريته وإخلاصه . . وتقرير د . دوجلاس ماكنزى وهو أستاذه فى جامعة بوستون بأمريكا .

كده . كويس قوى . . شكراً .

– . . . .

* * *

د . جعفر رجب ودكتور ماكنزى مع المريض فى مستشفى الأمراض العصبية . . وقد ارتدى دكتور مختار أبو النور بدلة أنيقة وكرافتة . .

ولم يكد يراهما حتى تغيرت ملامحه . ثم صافح الاثنين وعانقهما وقبلهما . وجلس وقد أحنى رأسه . وصمت تماماً .

د . جعفر : أنا تلميذك . . لا أكذب ولا أغش . . نحن نمشى على تعاليمك تماماً . .

– . . . .

– أنا قرأت كل شىء . . وتناقشت مع د . صلاح نور الدين . . وأنا على يقين من أنك برىء . . وإنما أنت سبقت القضاء . . وأمسكت سيف الجلاد وحكمت على نفسك بمنتهى القسوة . . صحيح أنت قاسى على نفسك دائماً . . ولكن هذه المرة كانت قسوتك عليك وعلينا وعلى أسرتك . . طبعاً تعرف أستاذ د . ماكنزى . .

د . ماكنزى : قررت أن أزورك وأنا فى طريقى إلى جنوب أفريقيا . . قرأت وناقشت . . وأنا على يقين من كل شىء . . وأنا أدعوك إلى

الغداء . . أنت وزوجتك وتلامذتك وأولادك . . الذين أقنعتهم زوجتك بأن صدر قرار بالعفو عنك بمناسبة عيد الأضحى المبارك . .

وجلس د . مختار أبو النور منكس الرأس تماماً لا ينطق . . ثم قفز ووقف على يديه . . ليؤكد لهم أنه ما يزال مجنوناً . . فما كان من د . ماكنزى إلا أن وقف على يديه أيضا . . وكذلك د . جعفر . .

* * *

د . سوسن فى عيادة د . صلاح .

د . صلاح : إزى الحال ؟

سوسن : عندنا مشكلة .

- إيه .

- عاوز يحكى للأولاد الحقيقة .

- ليه ؟

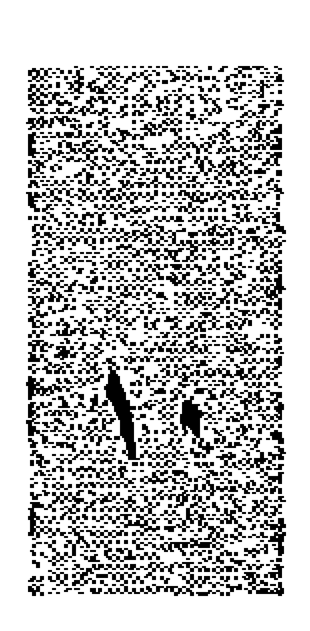
- نفس المشكلة . . إنه لا يكذب أبداً . .

- ولا حاجة أحكى للأولاد الحقيقة . . وأنه راجل متشدد وبس . . قولى أنت للأولاد . . يعنى قولى له إنك موافقة أنه يحكى للأولاد . . فلما ييجى يحكى لهم . . يقولوا احنا عارفين من الأول . . وانت حر فى حياتك . . إحنا على كل الأحوال نحترمك ونقدرك . .

د . سوسن : فكرة . . شكراً يا دكتور !

ويدور فى مقعده . . ويخلع ملابسه . . ويطفئ الأنوار ويخرج إلى البيت . .

* * *



الدكتور فى عيادته . . على مقعده . . يدور ويدور . . ويقلب فى الملفات . . الملفات تقع على الأرض . . يحاول أن يلتقط واحداً منها فيسقط هو على الأرض . ويظل على الأرض نائماً وقد وضع يده على عينيه .

ونراه فى السيرك وقد صبغ وجهه بالأبيض والأحمر كما يفعل البهلوانات . . ويداعب الأطفال ويعطيهم الهدايا والحلوى . . ومعه كلب . . وينادى الأطفال أن يدخلوا ويتفرجوا على الأسد . . ويشير إلى بعض الرواد والكلاب . . ويشير إلى الأفاعى ويشير إلى السيدات . . والعقارب : تعال . . اتفرج وشوف . . بنى آدم مين . . تعال وانت تحب الحيوانات أكثر . . صدقنى كلما عرفت بنى آدم زاد حبك للكلاب والثعابين خدها منى حكمة . . مين قال إن البنى آدم لا يعض . . مين قال إن البنى آدم لا يخون . . مين قال إن الحية تختلف عن حوا . . مين قال . . يطلع لى هنا . . يحط عينيه فى عينى . . مين قال وأنا أحط صباعى فى عينيه . . تعال . . تفرج وشوف على خيبة ابن آدم . .

إحدى الزائرات تقول للأخرى : أقطع دراعى إن ما كان ده المهندس حمادة السبع . .

الثانية : أنت مجنونة . . حمادة هاجر لاستراليا . .

الأولى : هو . . أقطع دراعى . . وأنا تايهه عنه . . صوته . . شفايفه . . أنا بأقول لك كده . .

وتقترب منه وتعرفه ويعرفها . . فيرفع صوته ويقول : حمار يا

ابن آدم إذا كنت تصدق النسوان . . جحش يا ابن آدم إذا كنت تأمن لبنت حواء . . آخرتك سوداء إن شاء الله . .

ثم يلقى عليها بالماء ويقول : هه . . غرقت فى شبر ميه . . يا رب تغرق خالص . .

ويبتعد عنها . . ويتوارى بين الناس . .

وتختفى الاثنتان فى الظلام واحدة تقول : هوه . . أنا متأكدة .

– وإيه اللى خلاه يعمل كده .

– طول عمره ممثل . . كان فى كلية الزراعة يفاجئ زملاءه الطلبة بدخوله المدرج بالجلباب واللبده ويحط الفأس على كتفه . . ويغير ملامحه وفى أحيان كثيرة طردوه من المدرج . . ولكن لما قلع الطاقية ونزع شنبه ولحيته عرفوه . .

– أيوه . . لكن إيه اللى يخليه يعمل كده . . ده موظف هنا وأنا متأكدة أنه هاجر أستراليا . . وبعت لوالدته وأخواته جوابات من هناك . .

– يمكن راح . . راح علناً ورجع سراً . .

– ليه . .

– ما أنت عارفة إنه مجنون . .

– مجنون ؟ لا طبعاً . . عمره ما كان مجنون . . هوه مجنون علشان مارضيش يتجوزك . .

– مين . . هوه . . وأنا أرضى أتجوز واحد ما عندوش غير مرتبه . . وده إيه ده . .

– ده إيه ده ؟ وأنت كنت حتموتى عليه . .

– أنا أموت على ده . . ليه الرجالة خلصت وما فضلش إلا

بسلامته . . والله أنا حاجيب لك قراره . .

واتقربت من أحد موظفى السيرك وسألته : من فضلك هو الجدع اللى عامل بلياتشو اسمه إيه . .

– هوه اللى رمى عليك الميه .

– أيوه . .

– ده طليانى اسمه ألفريدو .

– ألفريدو . . ده بيتكلم عربى زينا . . وبيتكلم فرنساوى وإنجليزى وألمانى وكل اللغات . .

– ده مصرى أكيد . .

– طليانى أكيد . .

– بيشتغل معاكم من إمتى ؟

– أنا أوعى ألاقيه هنا . . جدع وفيه إنسانية . . وكريم ومضيع فلوسه على الناس الغلابة . . سكرة . . ليه ـ سيادتك بتسألى عليه ليه . .

– أنا يتهيأ لى أننى أعرفه . .

– بيتهيأ لك . .

– أنا متأكدة . .

– وأنا متأكد أنه خواجة ابن خواجة أمه اسمها ماريا وأبوه اسمه ألفونسو . .

– غريبة . .

زميلتها : هه . . جالك الكلام . . طليانى ابن طليانى .

– . . . .

يظهر البهلوان وينادى على الناس : تعالوا شوفوا العجب . .

تعالوا . . شوفوا اللى أحسن من الموجودين فى البيت . . صدقونى . . أحسن وأصدق . . صدقونى . . ومخلصين أكثر . .

وتنزل الدموع من عينيه . .

* * *

وفى عيادة الدكتور يظهر البهلوان وقد تمدد على الكرسى الطويل وإلى جواره جهاز التسجيل . . ويجىء الممرض يسدل الستار حتى لا يراه الزوار . . ويخرج الزوار ويبقى الطبيب يستمع إلى التسجيل من وراء ستار . . جالساً على مقعده ويدور ويدور . .

ويظهر البهلوان ومعه واحدة بهلوانة أيضاً . . ويجلس الاثنان فى السيرك وقد خلا من الناس تماماً . وكلاهما لا يتكلم . .

تقول هى : بالسرعة دى انتهت حياتنا . . بالسرعة دى . . أمّال فين الكلام اللى قلناه . . فين الوعود فين الأحلام . . فين الأولاد . . ثلاثة . . أربعة . . خمسة . . كل ده راح . .

- . . . .

- غلطة واحدة . . ومش غلطة مجرد شك عندك . .

- . . . .

- أنت غيور زيادة عن اللازم . . وهوه كان عمل إيه . . لقانى سكرانة فى الشارع . . خدنى فى سيارته إلى أقرب بيت . . وكان بيته . . ووضعنى على السرير وتركنى لحد ما أفوق . . ولما فقت لقيته هو وخمسة من زملائنا فى السيرك . .

- . . . . (يخفى رأسه فى يديه) .

- وقلت لك الحكاية دى ألف مرة . . ولكن اللى فى دماغك هوه هوه لم يتغير . . أنا قلت لك أنا مش مناسبة لك . . أنا قلت

لك أنت عاوز واحدة متعلمة . . أنت اللى قعدت تقول لى : ملعون أبو التعليم . . على أبو الشهادات . . ده مش كلامك ؟ رد على . . وجعت قلبى . .

– كلامى . . وأنت كان كلامك إيه . . كان كلامك إيه . . قلت أنك حتتعلمى . . وقلت إن الماضى انتهى . . كل شىء انتهى . . ولازم ينتهى . . اللى عرفتهم خلاص . . واللى أنا عرفتهم خلاص . . ونبدأ من جديد مش ده الاتفاق . .

– أيوه .

– وحصل إيه .

– ما حصلش حاجة .

– أنت اللى بتقولى . . لكن الناس بتقول إيه . . السيرك كله بيقول إيه . . الكلب بيقول إيه . . الكلب يا زينات . .

– الكلب مين ؟

– الكلب بتاعك . . اللى كان يخليه كل ليلة ينام قدام باب روبرتو . . مش لأنه اتعود أنك بتروحى له . . والكلاب حارس أمين . . لواحدة ما عندهاشى ريحة الأمانة . . الكلب أمين . . وصاحبة الكلب غير أمينة . . مين أحسن . . أنت ولا الكلب . . الكلب طبعا . . ألف مرة . . وكان المطلوب منى أننى أسكت . . أعمل إنى مش عارف . . أعمل إنى موافق . . أعمل زى الكلب . . أمشى وراك لحد أحضانه وأقف على الباب استناك . . هوه ده المطلوب من الباشمهندس أول دفعته فى كلية الزراعة . .

– مش صحيح . . وافرض أنها صحيحة . . ما هى غلطة . . غلطة واحدة . . وأنت ما غلطتش . . أنت ما غلطتش .

- إمتى ؟ قبل ما أعرفك . . قبل ما أحبك . . قبل ما نتفق على الزواج . .

- أنا عارفة انت ليه قررت إنك تتجوزنى . . أنت قررت تتجوزنى بعد الغلطة المزعومة . . شيء عجيب . . أنا افتكرت إنك بعد الغلطة دى حنسيب بعض . . لكن اندهشت لما قررت إنك تتجوزنى . . ليه . .

- والله مش عارف إن الحب له جدول والزواج له مواعيد . . المصيبة أننى حبيتك وقررت إنى أتجوزك . . وعلشان حبى كبير ، غلطتك بقت صغيرة . . فعصتها بجزمتى . . شوفى العبط . .

- طيب أنا مش عارفه إيه اللى خلاك تسيب المكتب الاستشارى فى المنصورة وتعمل هنا فى السيرك . . مش فاهمة . . أنا مش عارفة إيه اللى فى دماغك . .

- وأنت سبت تدريس الألعاب الرياضية فى المدرسة وجئت هنا السيرك . .

- جيت وراك . . جيت علشان أرضيك . .

- ورايا أنا . .

- أمّال وراء مين .

- أنت عارفة وراء مين . .

- أنت حتجننى . .

- أمال أقول على نفسى إيه . . مين اللى حيجنن مين !

يدخل التمورجى ويزيح الستار ويطلب من البهلوان أن ينهض . وأن يجيء غداً . ويعتذر له عن الطبيب الذى خرج فى مهمة عاجلة . .

* * *

يجىء الدكتور إلى العيادة إلى المكتبة إلى الملفات .. والصور .. وصور من السيرك .. ويهز رأسه ويقول : والله أنت عاقل جدا .. مين قال إنك مجنون .. عاقل والله .. بس دوختنى ..

ويدور الكرسى ويدور ..

ويظهر البهلوان وقد أمسك السكاكين فى يده .. وزينات بالمايوه وقد أسندت ظهرها إلى شجرة .. وهو يلقى بالسكاكين حولها .. والسكاكين تخترق الشجرة عند أطراف جسمها ..

وقد ظهر الخوف على وجه زينات فجأة .. وظهر الاضطراب على وجه (ألفريدو) .. ويرتعش وتنطلق السكين تصيبها فى قلبها .. ويتزاحم الناس .. وينهار ألفريدو .. ويصرخ ويصرخ .. وزينات قد سقطت على الأرض ..

* * *

فى عيادة الدكتور صلاح .. جلس أمامه وكيل النيابة : تفسيرك إيه يا دكتور .. وأنت عارف حالته ..

الدكتور صلاح وهو يدور فى الغرفة حول مكتبه : أغلب الظن أنه قرر أن يقتلها .. وبدلاً من أن يقتلها فى بيتها أو بيته أو فى الشارع .. قرر أن يقتلها وسط الزحام .. وأن يكون القتل خطأً وليس عمداً .. تماماً كما يحدث فى كرة القدم أو فى الملاكمة .. لو واحد قتل زميله فلن يكون قاتلاً .. أراد أن يقتله وأن يكون بريئاً .. وبدلاً من أن يجاهر بعداوته ورغبته فى الانتقام .. أخفى هذه الرغبة فى حبه لها أمام كل الناس ثم زواجه منها .. وتمت الجريمة .. ولا يصدق أحد أنه قتلها عمداً ..

وكيل النيابة : معقول .. معقول يا دكتور .. مش مجنون ؟

- عاقل جداً . . جريمة محكمة . .

وينهض وكيل النيابة . .

والدكتور يجمع أوراقه . . وينهض من مقعده . . ويطفئ الأنوار ويغلق الباب عائداً إلى البيت . .

وفى الطريق يعود إليه وكيل النيابة : آسف يا دكتور أنا عندى بعض الأسئلة ومحتاج إلى توضيح من سيادتك . .

يتوقف الدكتور : . . . . . .

وكيل النيابة : إنه إيطالى الجنسية . .

- إيطالى ؟ إنه مصرى .

- كل الأوراق تؤكد أنه إيطالى من سنوات . .

- ولكنى أعرفه منذ وقت طويل . . وله حكاية تانية . .

- حكاية تانية .

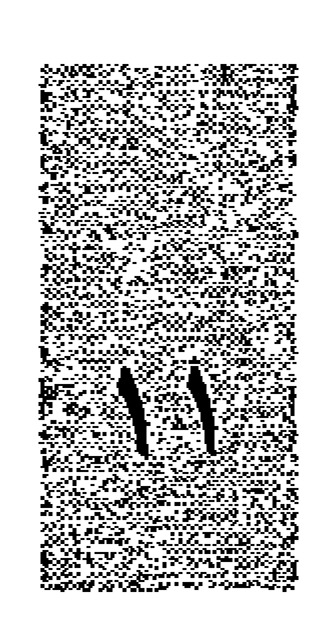
- كانت عنده مشكلة مع زوجته الأولى . .

- زوجته الأولى . .

- حكاية فظيعة . . ولو عاش لقتل ألف واحدة مش واحدة بس . . وبدلاً من أن ينتحر كان فى نيته أن يقتل واحدة أخرى . . وواحدة ثالثة . . أنا حذرته . . ونصحته . . وسمع كلامى . . ولكنه بدلا من أن يقتل كل النساء التى عرفها اكتفى بالتخلص من حياته هو . .

ويمشى الطبيب . . ووكيل النيابة يكلمه . . ولكنه لا يرد . . ويمضى عائداً إلى بيته . .

ويتوقف وكيل النيابة فى الطريق يحدث نفسه . .



الدكتور في العيادة . . كما هي العادة . . ويقلب في الملفات . . ويختار واحداً . . ثم يعدل عن ذلك . . ويختار واحداً ويدور فى مقعده . . ثم يعدل عنه . . وينهض ويقلب فى الرفوف يبحث عن ملف آخر . . ويجد ملفاً كبيراً . . ويقلب في الملف ويهز رأسه . . ويذهب إلى الكرسى الطويل الذى يتمدد عليه المرضى ويتمدد هو . .

* * *

ونراه فى ملابس أحد تجار المخدرات . . فى مقهى . . وحوله المهربون والموزعون . . وفى يده عصاً . . وفى جيبه مسدس . . وفى يده وردة . . ويطلب إلى أحد رجاله أن يقرأ له الصحف . . ثم يطلب إليه أن يفتح التليفزيون . . ثم يطلب إقفال الصحيفة والتليفزيون ويسأله أحد رجاله : قلقان يا معلم . .

– مش قلقان يا جدع .

– أمال إيه . . مش عوايدك . .

– إيه يعنى مش عوايدك . . وهوه فيه عوايد فى الزمن ده . . كل واحد شكل . . يلبس شكل وياكل شكل . . ما حدش على بعضه . . ما أنت شايف إخوانا الشياطين لابسين . . بيطلعوا على شكل شحاتين . . وعلى شكل صيادين . . ومهربين . . حتى بيلبسوا نسوان كمان . . عوايدى . . فين هيه عوايدى . . أنا من ساعة كنت عامل خواجة . . وإمبارح كنت عامل رقاصة . . وبكره مش عارف حاعمل إيه . . لقمة العيش يا بنى آدم . .

- عيش إيه يا معلم طرشوبى . . هوه أنت برضه بتدور على عيش . . اللهم صلى على النبى . . أنت بتاكل الشهد . . وأكثر من الشهد . .

- لقمة عيشك أنت . . وعيش أربعين واحد ونسوانهم وأولادهم فى رقبتى . . أنا أقدر أعيش فى أمريكا . . ربنا سترها معانا لحد دلوقتى . .

- الله . . جرى إيه يا معلم . . أنت الأيام دى بتقول : لحد دلوقت . . إيه لحد دلوقت . . على طول إن شاء الله . .

- على طول . . فيه حد يسلم على طول ؟

- أنا سلمت ؟

- طبعاً . . علشان أنت حمار . . يابختك يا حمار . . يا بخت الحمار . . (يبكى) .

- الله . . الله . . جرى إيه يا معلم إيه اللى حصل . . جرى إيه يا معلم . . سلامتك . . والله مش فاهم . . حسدوك يا معلم . .

- . . . .

- سلامتك يا معلم . .

يشير المعلم طرشوبى بيده إلى أن يبعد عنه . . أن يخرج الجميع وأن يتركوه وحده . .

ولا يكاد يجد نفسه وحده حتى ينهار . .

* * *

وفى عيادة الدكتور صلاح جلست سيدة : آدى كل الحكاية يا دكتور . . هو ما يعرفش . .

الدكتور : من إمتى يا مدام أُلفت . .

أُلفت : أنا متجوزة المعلم وحيد طرشوبى من تسع سنوات . . إنسان طيب . . وعندنا أولاد . . وسعداء والحمد لله . . بس . .

- بس إيه . .

- دى حكاية طويلة . . وأنا حصل لى انهيار . . مرة بعد مرة . . ودخلت مستشفى الأمراض العصبية . . المصيبة إن الناس كلها فاهمة إن أنا اللى عيانه . . أنا إذا كنت عيانه قيراط هو ٢٤ قيراط . . هوه يعيط بالليل وأنا اللى آخد حبوب منومة . . هوه اللى يتشنج وأنا اللى آجى لحضرتك يا دكتور . .

الدكتور : أنا عاوز حضرتك تهدى خالص . . اتفضلى . .

ويشير إلى المقعد الطويل لكى تتمدد عليه . . ثم يقدم لها كوباً من الماء وحبة مهدئة .

ويقترب منها ويقول لها : قولى أى كلام يخطر على بالك . .

ثم يفتح جهاز التسجيل . .

ويعود إلى مقعده ويدور به المقعد . .

* * *

ونرى المعلم طرشوبى وقد جلس فى المطار فاقترب منه أحد ضباط الشرطة . ويصافحه بشدة . المعلم طرشوبى يضحك . ويقول للضابط : أهلاً وسهلاً . . حضرتك قصدك أخويا التوأم . . أهلا وسهلا . .

الضابط : آه كده ؟! غلطة مش كبيره . .

- (يبتسم ولا يتكلم) .

ثم يدخل دورة المياه ويستخرج من حقيبته زجاجة ويسكى صغيرة . . ويشرب . . ثم يضعها فى مكانها من الشنطة . . ومن الشنطة يستخرج سبحة ويحركها بين أصابعه . .

وعندما يخرج من دورة المياه تقابله ريرى وهى راقصة معروفة : وتنهال عليه قبله هنا وقبله هناك ويضحك ويضحك . .

الراقصة : رايح فين يا راجل يا أبو عين زايغة . . رحت فين إمبارح . . بس اما أرجع لك . . أنا حاخللى عيشتك سوداء .

- (يضحك) يا ست مش أنا . .

- أنت سكران (وتقترب منه وتشم رائحته) طبعاً . . مش أنت أمال أمى . .

- يا ستى والله ما هو أنا . . يا ستى ده أخويا . . إحنا توأم . .

- توأم إيه . . أنت سكران يا روح قلبى . . وبتشوف نفسك فى المرايا اتنين . . راجعة لك يا جميل . . بأقول لك إيه . . أنا رايحة بيروت . . وكلها ثلاثة أيام . . وأنت عارف النمرة . . اطلبنى عندى كلام كتير . . مش حتندم يا جميل . . أشوفك بعافية يا راجل يا وسكى !

- (يضحك) وبعدين فى الحكاية دى يا ناس . . والله يا ستى مش أنا . .

- العب غيرها . .

- حاضر حالعب غيرها .. أمرى لله .. طول عمرى بالعب غيرها .. بالعب بدل أخويا .. وأخويا يلعب بدلى .. والله (يضحك) والله العظيم ما أنا عارف أنا مين .. أنا ولا أخويا ..

- بتقول إيه ؟

- دى حكاية قديمة .. وطويلة ..

- طيب يا أخويا .. ولا .. يا أخوه !

- مش برضه سيادتك ست ريرى ..

- سيادتى .. ست ريرى .. أمال أنت كنت فاكرنى مين .. تقصد العرجا اللى بترقص كده (وتقلدها) .. ولا اللى اسمها شوق (وتقلدها فى رقصها وترفع ذراعيها إلى فوق) .. ما تفوق بقى يا راجل يا دايخ ..

- (يهز رأسه يأساً) .

* * *

وتظهر سيدتان فى سيارة وهما الأختان : كوكا .. ولولا .

كوكا : وحتعملى إيه ..

لولا : أنا عارفة .. اللى نبات فيه نصبح فيه ..

كوكا : ممكن أفهم منك إيه الحكاية دى ..

لولا : الحكاية دى إننى واقعة فى مطب مش عارفة أطلع منه ..

- يعنى إيه !

- يعنى أنا حبيت واحد وحتجوز واحد تانى .

- إزاى يعنى ؟

- همه أخين توأم . . واحد اسمه أيمن طرشوبى . . والثانى اسمه وحيد طرشوبى . .
- إيه الكلام ده .
- هوه ده الكلام اللى عندى . . والاثنين زى بعض بشكل غريب جدا . .
- يعني ما تقدريش تفرقى بينهم .
- أبداً . . أحياناً يتهيأ لى أني أقدر . . لكن مش قادره . . زى بعض فى كل شىء . . لو واحد دخل دورة المياه يضرب لأخوه تليفون يقول له . . حتى لو كان فى أمريكا . .
- إيه ده ؟
- زى ما بقول لك . .
- وبعدين . .
- أيوه وبعدين اكتشفت إن اللى معايا . . متجوز . . والثانى مش متجوز . .
- يعنى إيه ؟
- وحياتك متوجعيش قلبى . . الحكاية دى زى ما بقول لك .
- وأنت وافقت تتجوزى واحد متجوز ؟
- أيوه اتنيلت ! بس اسمعى الحكاية للآخر . .
- وبعدين كشيت منه . . اتهيأ لى أنه هو الثانى . . اتهيأ لى . . أنا متلخبطة . .
- ولسه متلخبطة .
- أيوه لسه متهببة !

* * *

وفى عيادة الدكتور صلاح نجد السيدة ألفت زوجة وحيد طرشوبى . . وقد تمددت على الكرسى الطويل وإلى جوارها جهاز تسجيل . . ويشير إليها د . صلاح أن تكمل . .

ألفت : (مضطربة وتبكى فجأة) ده كان يوم فظيع جداً يا دكتور . . أنا قاعدة فى البيت . . عيد ميلاد ابنى الكبير . . تورتة وأطفال وسعداء جداً . . وزوجى كان نايم جوه . . لأنه كان فى لبنان وراجع تعبان . . ودخلت له علشان يقوم يطفى الشمعة مع الأولاد . . فوعدنى وقام يغير هدومه . . وفجأة الباب بيخبط . . وجرس التليفون بيرن . . وقبل ما أفتح الباب وجدت أخت جوزى وقعت على الأرض وفى إيدها التليفون . . ومش فاهمة إيه اللى حصل . . وعلى الباب لقيت ضابط ومعه عساكر . . إيه الحكاية . . (تبكى وتئن) .

دكتور صلاح : على مهلك . .

ويقدم لها كوب ماء وحبة مهدئة . .

د . صلاح : كملى . . أيوه . . وبعدين . .

ألفت : والبوليس دخلوا على أوضة النوم ووجدوا زوجى . . إيه الحكاية . . مش فاهمة . . وانشغلت بنوال اللى واقعة على الأرض . . وحاولت أفهم منها . . مغمى عليها . . ولا تنطق . . ولما دخلت أوضة النوم . . لقيت جوزى نائم على السرير هوه كمان . . إيه الحكاية يا حضرة الضابط . . إيه الحكاية . . يا ناس حد يقول لنا حاجة . . الضابط قال لى : خير إن شاء الله .

خير إيه بس . . جوزى مغمى عليه . . وأخته كمان . . إيه اللى جرى . . وأنا لقيت نفسى فى المستشفى . .

د . صلاح : بلاش تكملى دلوقت استنى شوية . .

ألفت (أهدأ بسبب الحبة المنومة) : أخو جوزى قتلوه فى ميناء الإسكندرية . . كان بيهرب عملة مزيفة . . بيقولوا مليون ولا اثنين . . ومن يومها وأنا عايشة فى عذاب . . وبيحصل لزوجى كل ليلة أنه يصرخ كأنه سمع خبر موت أخيه لأول مرة . . ويقول أنا السبب . . اقتلونى أنا السبب . .

ويقترب الطبيب ويقفل جهاز التسجيل . ويطلب إليها أن تنهض . .

ويعود د . صلاح إلى المقعد ويفتح أحد الأدراج ويبتلع حبة مهدئة مع الماء . . ويضع يديه على رأسه . . ثم يتراجع فى مقعده كأنه يريد أن ينام . .

وينهض ويطفئ الأنوار ويخرج عائداً إلى بيته . . عندما يسمع جرس التليفون . . ويتوقف . . ويندهش لجرس التليفون ويعود إلى التليفون ويرفع السماعة ولكن أحداً لا يرد . . أو يخيل إليه أن التليفون كان يرن . . ثم يسمع جرس الباب . . ويتوقف لحظة . . وجرس الباب يرن ويتجه إلى الباب ويفتحه ولكنه لا يجد أحداً . . لعله يتوهم ذلك . . ويهز رأسه مندهشاً . . ثم يستأنف السير إلى بيته . .

١٢

أمام دكان (حانوتى) يجلس رجل قد ارتدى الطربوش والجلباب والبالطو وأمامه ترابيزة عليها طعام وشاى وسجائر . . ولا ينظر إلى أى أحد . . والذين يتحدثون إليه يرد عليهم ولكن لا ينظر إليهم . . وإذا سأله أى إنسان عن أى شىء أشار بيده إلى اللافتة المكتوبة فوق الدكان . .

اللافتة تقول : لا إله إلا الله هو الدايم . . وكل من عليها فان . .

صاحب الدكان اسمه المعلم فرخة .

وعندما يفرغ من الطعام وكأنه كان نائماً ثم صحا فجأة . . ويقول بعض الزبائن فى الدكان : أنا اسمى فرخة . . أمى اختارت الاسم ده . . يمكن علشان ما حدش يحسدنى . . أمى خلفت ١٢ ولداً وكان نفسها فى بنت . . علشان كده بدل ما تسمى ديك . . قالت ابنى ده فرخة . . وهيه مش غلطانة . بنى آدم فرخة بتبيض . . ويطلع فرخة من البيضة وتبيض برضه . . والفرخة تموت واللى بعدها يموت . . وهيه فراخ بتدفن فراخ وكل من عليها فان . . آدى الحكاية سيادتك تأمر بإيه . . إحنا جاهزين من كله : ندفن عواجيز عتاقى وبرابر . . وندفن الكتكوت فى البيضة . . حكايات عجب . . ودنيا عجب . . ما حدش واخد منها حاجة . . حتدفع لنا مقدم أد إيه . . قول العنوان يا سعادة الفرخة الفانية . . مش برضه سيادتك عندك فراخ ولا لسه كتاكيت ما خرجوش من البيضة . .

الزبون : صبرك عليا يا حاج .

فرخة : مفيش عندنا أكثر من الصبر . . يصبر بنى آدم ما يصبر . . وكله فى التراب . . البنى آدم تراب والصبر تراب . . وكلها تراب فى تراب علشان كده أنا اسمى إيه . .

- فرخة .

- لا . . اسمى تربى من التراب . . حتدفع كام وأنا صبرت عليك كثير . .

- مش أما تعرف حتعمل إيه . .

- حنعمل كل شىء . . إلا أن ترجع الروح اللى خرجت . . ده شغل ربنا . .

ويخرج الفلوس من جيبه ويعطيها للحاج فرخة . .

ويعدها الحاج فرخة ويسأله : لا مؤاخذة دول علشان إيه بالضبط . . غسل ولا كسوة ولا خرجة ولا نعش ولا جنازة ولا دفن . . لا مؤاخذة . . كل شىء له شىء . . خد بالك أنا لو مت . . ولاد الكلب دول (ويشير إلى العمال فى دكانه) حايحاسبوا مراتى والعيال زى ما باحسبك كده . . حال الدنيا يا محترم . . فى الشغلانة دى بنشوف كثير . . وحياتك دموعى نشفت . . وقلبى بقى زى الحجر . . شفت كثير قوى قوى . . ودلوقت مش عاوز أشوف . . أقول لك حاجة . . أقول لكم حاجة (والناس يبكون) من كتر ما شفت . . ومن كتر ما كرهت اللى أنا باعمله . . بأغسل الميت وأنا مش شايف . . وأقوم بكل حاجة وأنا مغمض . . حافظها صم . . وقرفان بالقوى . . وكلها أيام . . حتدفعوا قد إيه ؟!

- . . . .

* * *

وفى عيادة د . صلاح نجده جالساً ساكتاً تماماً . وقد تكدست الملفات أمامه . . وفنجان القهوة لم يشربه . . والسيجارة مشتعلة ولكنه لا يدخن . . وسماعة التليفون مرفوعة وصوت يقول : آلو . . يا دكتور . . فى عرضك . . يا دكتور . . آلو . .

ويمد الدكتور يده إلى التليفون فيقفله وإلى السيجارة فيطفئها وإلى طبق الفنجان فيضعه فوق الفنجان وإلى الملفات فيضعها على الأرض وينكفئ على المكتب . .

عندما نرى الحاج فرخة ممددا على السرير الطويل . . ود . صلاح يدور بالمقعد ويدور ويدور ونجد الحاج فرخه عائداً من أداء فريضة الحج . ويتجه مباشرة إلى الدكان فلا يجد أحداً . . ويقلب فى الدفاتر فيعرف مكان الجنازة . . وينقل العنوان ثم يقرأ ويمط شفتيه . ويقف ويتذكر أين مكان الجنازة . . وأين مكان الدفن . .

وعندما يظهر طفل صغير يحرس الدكان فى غياب العاملين يسأله الحاج فرخة : راحوا فين يا واد . .

الطفل : العنوان عندك يا حاج . .

- أيوه عارف . . كم واحد . .

- سبعة . .

- سبعة ده لازم الميت تقيل قوى . .

- دى عروسة ماتت فى حادثة وهى رايحة المطار . .

- عروسة يا واد .

- مين اللى قال لك .

- شايفهم بيتكلموا وبيعيطوا .

- الله . . أنت بتعيط يا واد . . يا واد بس أحسن أدفنك . . إحنا ما بنعيطش . . امشى اطلع بره . . عيط عند أمك . . امشى .

- مفيش حد فى الدكان يا حاج .

- آه كده . . استنى لما أخطف رجلى أشوف إيه . . وإذا رجعت ولقيتك بتعيط حارجعك لأمك . . أنت ابن مين يا واد .

- ابن البهنساوى . .

- أبوك جدع . . قلبه حجر . . وعقله زى الجزمة . . أمال أنت طالع لمين يا واد . .
- طالع لأمى . .
- أمك بتعيط يا واد . .
- أيوه .
- بتشتغل إيه .
- معددة .
- آه كده . . فعلا طالع لأمك . . أنا عاوزك تطلع لأبوك . . جاى لك يا واد . .
- . . . .

* * *

- عيادة الدكتور صلاح . . هو جالس إلى مكتبه والحاج فرخة قد تمدد على الكرسى . . وجهاز التسجيل إلى جواره . . والتمورجى يتقدم ويعطيه كوبا من الماء وحبة مهدئة وسيجارة . .

ويسحب الستارة التى تفصل بينه وبين دكتور صلاح .

ونرى الحاج فرخة يجرى فى الشارع ويلقى بملابسه على الأرض . . وفلوسه . . وجزمته وعمامته . . والناس تجرى وراءه والأطفال وهو يصرخ ويلطم . . ويمنعونه من خلع ملابسه كلها . . ولكنه مصر على أن يمشى عارياً وأن يتعرض للسيارات لكى تدوسه . . ويلقى بنفسه أمام السيارات . . والناس يمنعونه . .

ونسمع صوت الحاج فرخة وهو يبكى ويئن على المقعد الطويل . .

ثم يعود إلى البيت ويصعد السلالم شبه عريان ويدق الباب . . وتصرخ زوجته عندما تراه . . والأولاد والناس فى الشارع . . ويفتح الدواليب ويبحث عن شىء . . لا أحد يعرف . . ويحاولون منعه

ولكن لا أحد يستطيع . . ثم يسقط على الأرض . . وهو يضرب يديه فى الأرض ويعض فى أصابعه . . ويصرخ ويلعن ويشتم : أعوذ بالله . . يارب خدنى حالاً . . يا فرخة يا مجرم يا متوحش . . ما عندك فلوس مالها أول ولا آخر . . يا مجرم . . أنا المجرم . . إيه ده . . ليه كده علشان تعمل بالفلوس دى كلها إيه . .

الزوجة والأولاد يحاولون أن يفهموا . . وقد ارتدوا جميعاً الملابس السوداء .

الزوجة : أنت جئت إمتى ؟ إيه اللى وداك الترُّب . . الأعمار بيد الله يا حاج يا مؤمن . . قدر أخف من قدر . . هيه بس اللى ماتت ولكن أمها وأبوها . .

الحاج : اسكتى . . اسكتى . . مش عاوز أسمع ولا كلمة . . اقتلونى . . اذبحونى . . ادفنونى . . يا رب خدنى . . يا رب . . والنبى حبيبك خدنى . . ريحنى . . موتنى حته حته . . إيدى الأول وعينى ولسانى . . وقلبى وعقلى . . يا رب . .

- . . . .

* * *

عيادة د . صلاح . . وقد جلست زوجة الحاج فرخة منهاره .

د . صلاح : عاوز أفهم من حضرتك بالضبط إيه اللى حصل . .

زوجة الحاج فرخة : الحاج طماع شوية يا دكتور . . دى حاجات أنا ما عرفتهاشى إلا أخيراً خالص . . وربنا أعلم إنى ما عرفتها أبداً . . ومن ساعتها . . (وتمد أصابعها وتشير إلى رقبتها وأذنيها) لا أضع شيئاً من الذهب . . أبداً . . يحرم على . .

د . صلاح : اتفضلى على مهلك . . اتفضلى ومددى على الكرسى ده . .

ويدخل التمورجى ويقدم لها حبة مهدئة وقليلاً من الماء . .

زوجة الحاج : فى اليوم ده رجع من بيروت . . وقبل ما يدينا خبر إنه رجع راح على التُّرب على طول . . وبدل ما يروح على طول . . راح قعد على قهوة قريبة من مكان الدفن ولحد الناس ما رجعوا . . وهوه مش عارف من اللى مات . . يا رب رحمتك . . وبعد الناس ما رجعوا أخد معه واحد من رجاله وفتحوا التربة . . عروس بقى دفنوها ومعاها كل مجوهراتها . . ولما فتح المقبرة . . كانت المصيبة . . ما كانش يعرف إنها بنت أخوه . . صرخ وفضل يصرخ من الترب لحد البيت هنا والناس تجرى وراه . .

د . صلاح : ما حدش قال له .

- هوه ما بيسمعش كلام حد . . وبيخافوا منه . . إيده اليمين مشلولة ما بتتحركش خالص . . وإيده الشمال بتتحرك بسيط . . وعينيه فى السقف وعلى صرخة واحدة ! ممكن علاجه يا دكتور . .

- . . . .

- ممكن ؟

د . صلاح : ممكن ؟ . مش ممكن !

- يعنى إيه ؟

- (هز رأسه وكتفيه)

* * *

ويدور د . صلاح فى مقعده ويدور . . ويتوقف ويطفئ الأنوار ويغلق الباب ويعود إلى بيته .

مؤلفات الكاتب الكبير

الأستاذ

أنيس منصور

(أ) ترجمة ذاتية:

١ - فى صالون العقاد.. كانت لنا أيام.
٢ - عاشوا فى حياتى.
٣ - إلا قليلاً.
٤ - طلع البدر علينا.
٥ - البقية فى حياتى.
٦ - نحن أولاد الغجر.
٧ - من نفسى.
٨ - حتى أنت يا أنا.
٩ - أضواء وضوضاء.
١٠- كل شىء نسبى.
١١- لأول مرة.
١٢- شارع التنهدات.

(ب) دراسات سياسية:

١٣- الحائط والدموع.
١٤- وجع فى قلب إسرائيل.
١٥- الصابرا (الجيل الجديد فى إسرائيل).
١٦- عبد الناصر - المفترَى عليه والمفترِى علينا.
١٧- فى السياسة (٣ أجزاء).
١٨- الدين والديناميت.
١٩- لا حرب فى اكتوبر ولا سلام.
٢٠- السيدة الأولى.
٢١- التاريخ أنياب وأظافر.
٢٢- الخالدون مائة - أعظمهم محمد (ﷺ).
٢٣- على رقاب العباد.
٢٤- ديانات أخرى.
٢٥- وكانت الصحة هى الثمن.
٢٦- الغرباء.
٢٧- الخبز والقبلات.

(جـ) قصص:

٢٨- عزيزى فلان.
٢٩- هى وغيرها.
٣٠- بقايا كل شىء.
٣١- يا من كنت حبيبى.
٣٢- قلوب صغيرة.

(د) مسرحيات مترجمة:

** للأديب السويسرى فريد ريش ديرنمات:

٣٣- رومولوس العظيم.
٣٤- زيارة السيدة العجوز.
٣٥- زواج السيد مسيسبى.
٣٦- الشهاب.
٣٧- هى وعشاقها.

** للأديب السويسرى ماكس فريش:

٣٨- أمير الأراضى البور.
٣٩- مشعلو النيران.

** للأديب الفرنسى جان جيرودو:

٤٠- من أجل سواد عينيها.

** للأديب الأمريكى آرثر ميللر:

٤١- بعد السقوط.

** للأديب الأمريكى تنسى وليامز:

٤٢- فوق الكهف.

** للأديب الأمريكى يوجين أونيل:

٤٣- الإمبراطور جونس.

** للأديب الفرنسى يوجين ليونسكو:

٤٤- تعب كلها الحياة.

** للأديب الفرنسى أداموف:

٤٥- الباب والشباك.

** للأديب الإسبانى أرابال:

٤٦- ملح على جرح.

(هـ) دراسات نفسية:

٤٧- الحنان أقوى.
٤٨- من أول نظرة.
٤٩- طريق العذاب.
٥٠- ألوان من الحب.
٥١- شباب.. شباب.
٥٢- مذكرات شاب غاضب.

٥٣- مذكرات شابة غاضبة.
٥٤- جسمك لا يكذب.
٥٥- الذين هاجروا.
٥٦- غرباء فى كل عصر.
٥٧- أظافرها الطويلة.
٥٨- هموم هذا الزمان.
٥٩- زمن الهموم الكبيرة.
٦٠- الحب الذى بيننا.
٦١- عذاب كل يوم.
٦٢- كيمياء الفضيحة.
٦٣- كل معانى الحب.

(و) دراسات علمية:

٦٤- الذين هبطوا من السماء.
٦٥- الذين عادوا إلى السماء.
٦٦- القوى الخفية.
٦٧- أرواح وأشباح.
٦٨- لعنة الفراعنة.
٦٩- دقات الصحة هى الثمن.

(ز) نقد أدبى:

٧٠- يسقط الحائط الرابع.
٧١- وداعًا أيها الملل.
٧٢- كرسى على الشمال.
٧٣- ساعات بلا عقارب.
٧٤- مع الآخرين.
٧٥- شىء من الفكر.
٧٦- لو كنت أيوب.
٧٧- يعيش.. يعيش.
٧٨- الوجودية.
٧٩- طريق العذاب.
٨٠- وحدى.. مع الآخرين.
٨١- ما لا تعلمون.
٨٢- لحظات مسروقة.
٨٣- كتّاب عن كتب.
٨٤- انتم الناس أيها الشعراء.
٨٥- أيها الموت.. لحظة من فضلك.
٨٦- أوراق على شجر.
٨٧- فى تلك السنة.
٨٨- دراسات فى الأدب الأمريكى.
٨٩- دراسات فى الأدب الألمانى.
٩٠- دراسات فى الأدب الإيطالى.
٩١- فلاسفة وجوديون.
٩٢- فلاسفة العدم.

(ح) رحلات:

٩٣- حول العالم فى ٢٠٠ يوم.
٩٤- بلاد الله خلق الله.
٩٥- غريب فى بلاد غريبة.
٩٦- اليمن ذلك المجهول.
٩٧- أنت فى اليابان وبلاد أخرى.
٩٨- أطيب تحياتى من موسكو.
٩٩- أعجب الرحلات فى التاريخ.

(ط) مسرحيات كوميدية:

١٠٠- مدرسة الحب.
١٠١- حلمك يا شيخ علام.
١٠٢- مين قتل مين.
١٠٣- جمعية كل واشكر.
١٠٤- الأحياء المجاورة.
١٠٥- سلطان زمانه.
١٠٦- العبقرى.
١٠٧- كلام لك يا جارة.
١٠٨- فوق الركبة.
١٠٩- هذه الصغيرة (وقصص أخرى).
١١٠- يوم بيوم.
١١١- إنها الأشياء الصغيرة.
١١٢- إلا فاطمة.
١١٣- القلب أبدًا يدق.

(ى) المسلسلات التليفزيونية:

١١٤- حقنة بينج.
١١٥- اتنين.. اتنين.
١١٦- عريس فاطمة.
١١٧- من الذى لا يحب فاطمة؟
١١٨- غاضبون وغاضبات.
١١٩- هى وغيرها.
١٢٠- هى وعشاقها.
١٢١- العبقرى.
١٢٢- القلب أبدًا يدق.
١٢٣- يعود الماضى يعود.

(ك) كتب (مقالات):

١٢٤- ثم ضاع الطريق.

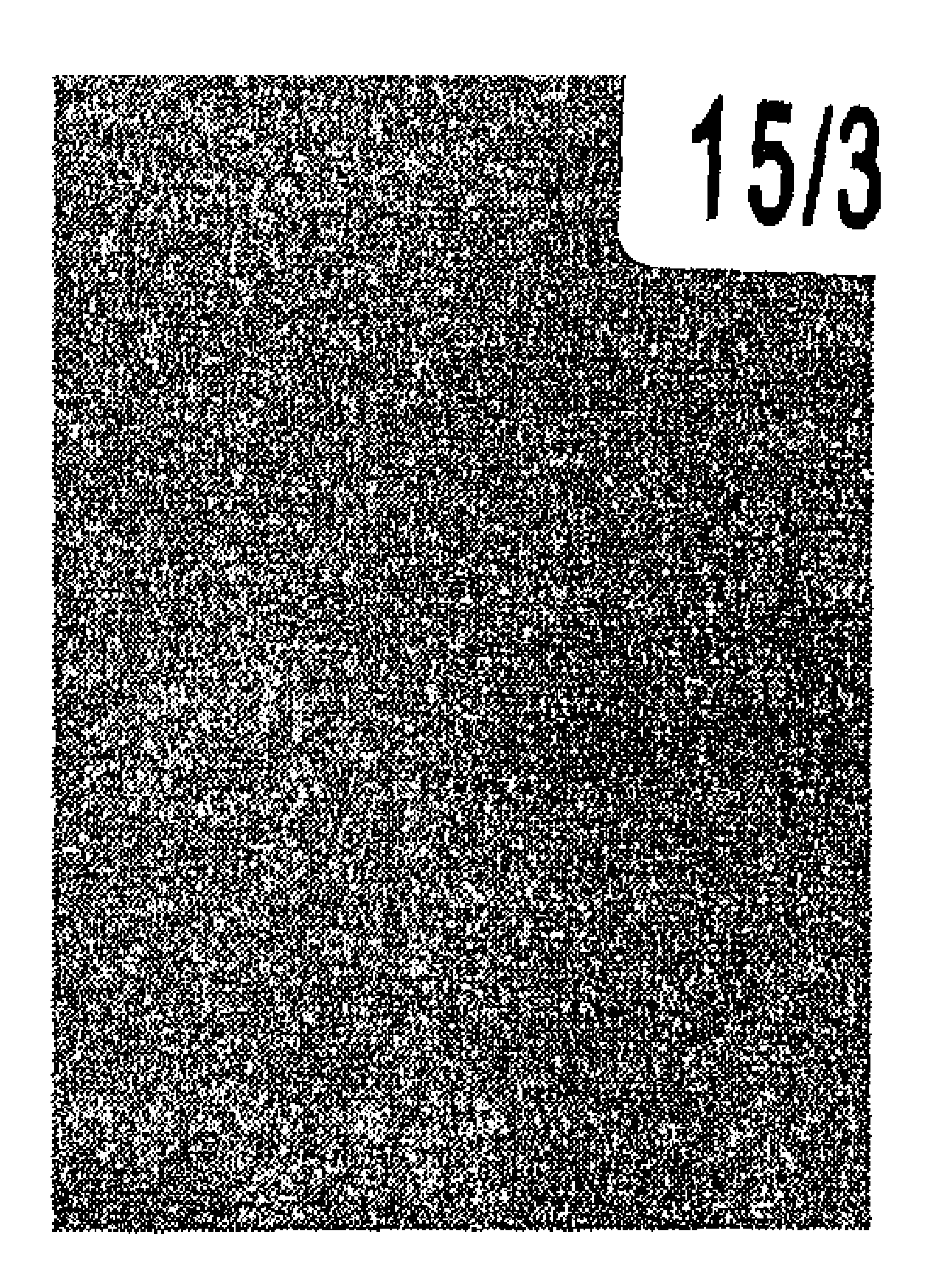
١٢٥- النجوم تولد وتموت.
١٢٦- هناك أمل.
١٢٧- أحب وأكره.
١٢٨- الحيوانات ألطف كثيرًا.
١٢٩- مصباح لكل إنسان.
١٣٠- أتمنى لك.
١٣١- لعل الموت ينسانا.
١٣٢- اقرأ أى شيء.
١٣٣- ولكنى أتأمل.
١٣٤- حتى تعرف نفسك.
١٣٥- الحب والفلوس والموت.. وأنا.
١٣٦- نحن كذلك !!
١٣٧- اللهم إنى سائح.
١٣٨- كائنات فوق.
١٣٩- تعال نفكر معًا.
١٤٠- آه لو رأيت !
١٤١- النار على الحدود: لعبة كل العصور.
١٤٢- انتهى زمن الفرص الضائعة !
١٤٣- هناك فرق.
١٤٤- الرئيس قال لى.. وقلت أيضًا (الجزء الأول والثانى).
١٤٥- يا نور النبى.
١٤٦- وأنت ما رأيك؟
١٤٧- حضارة الإوز والبقر.
١٤٨- حلمنا الجميل.
١٤٩- ضاع الجيل ضاع.
١٥٠- قالوا (الجزء الأول والثانى).
١٥١- وأخرتها.
١٥٢- ماذا يريد الشباب؟
١٥٣- الرصاص لا يقتل العصافير.
١٥٤- من أول السطر.

(ل) الترجمات القصصية:

١٥٥- رواية (الجائزة) للكاتب الأمريكى أرفنج والاس.
١٥٦- (المثقفون) للأديبة الوجودية سيمون دبوفوار.
١٥٧- (لو كنت مكانى) للأديب السويسرى ماكس فريش.
١٥٨- (قصص مورافيا) للأديب الإيطالى البرتو مورافيا.
١٥٩- (الجلد) للأديب الإيطالى كورتسيو ملبارته.
١٦٠- (الجيل الصاخب) للأديب الأمريكى جينز برج.

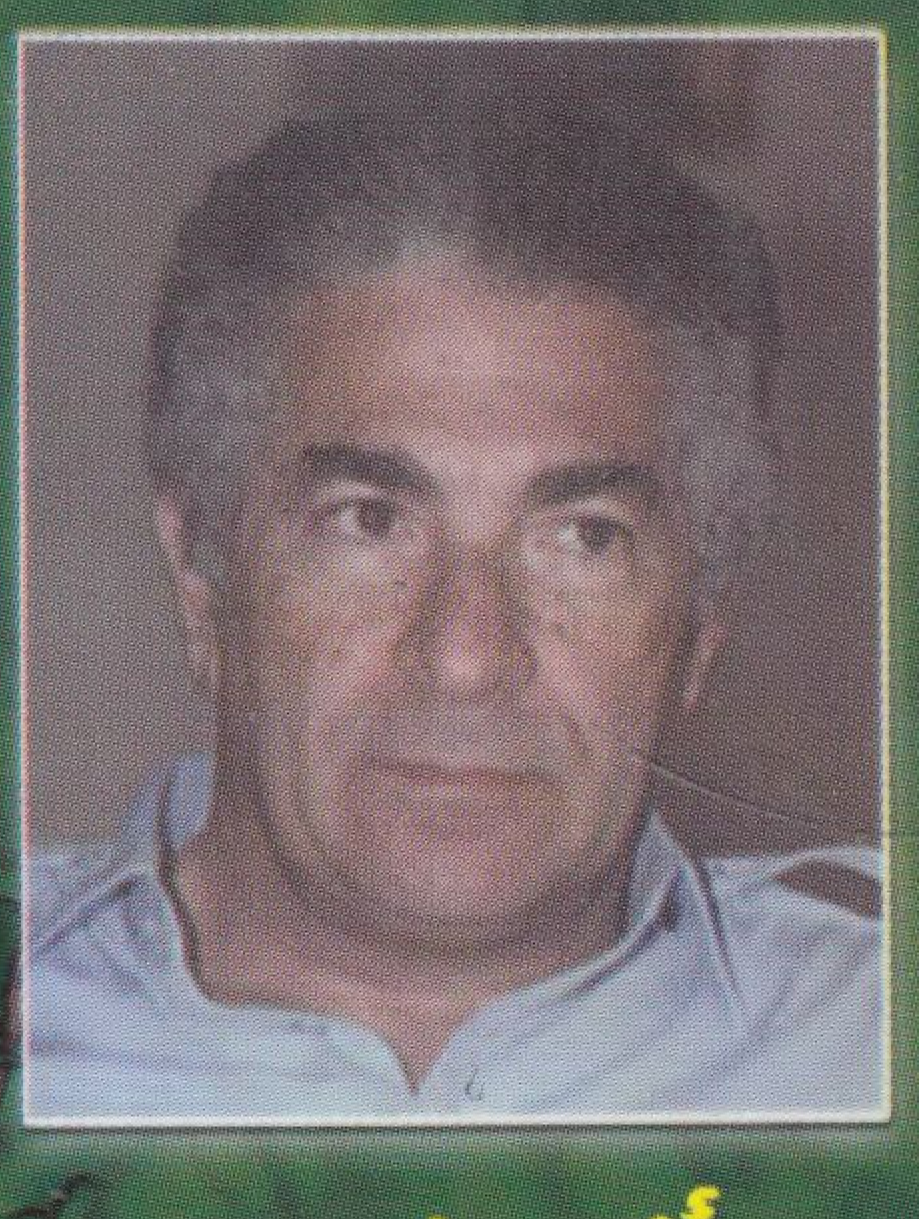
(م) الترجمات الفلسفية:

١٦١- الفلسفة الوجودية الألمانية - لإميل تسلر.
١٦٢- الفلسفة الوجودية الفرنسية - لجان جاك رسو.
١٦٣- معنى العدم عند هيدجر وسارتر - لجانيت أردمان.
١٦٤- مسرح العبث الفرنسى - لإتيان ماريبو.
١٦٥- الفيلسوف الروسى برديائف - لفيكتور لورتسيف.
١٦٦- من كيركجور إلى مارسيل - لأنطوان بابيف.
١٦٧- سيمون دبوفوار تلميذة رصينة - لفرنسواز روسلان.
١٦٨- رسائلها إليه - لفرنسواز روسلان.
١٦٩- فاشلون لكن نبلاء - لجان مارى روار.
١٧٠- ما الميتافيزيقا؟ لمارتن هيدجر.
١٧١- الوجودية فلسفة إنسانية - لجان بول سارتر.
١٧٢- فلسفة حنا أرنت - تلميذة للفيلسوف الألمانى مارتن هيدجر - لآدم برجشتاين.
١٧٣- كروتشه فيلسوف الحرية - لإيرابيلا دلورنتس.


15/3


نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

الماضى يعيش



أنيس منصور

الذى مضى من الزمن لا يمضى.. يبقى هناك فى مكان من العقل.. ويمكن استدعاؤه والنظر إليه بنشوة أو بقرف.. وكل ماضٍ يمضى ناحية ولا يمضى من ناحية أخرى.. فالماضى يمضى ويعود بل دائمًا يعود.. الذكريات الحلوة.. والذكريات الأليمة، كلها أفلام يديرها العقل من أولها ومن آخرها.. ونتدخل فى إخفائها وتعديلها.. ويكون التعديل نوعًا من الندم على ماحدث.. أو الندم على أنه لم يحدث بالصورة التى بدت بعد ذلك أنها صحيحة.. ولكن الماضى لا يمكن تغييره.. ماحدث لنا فقد حدث.. ويجمد وانتهى.

أنيس منصور

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

